
الرسالة

1re. Année, No. 17

Vendredi, 15-9-1933

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة فى الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

فى أول كل شهر ونصفه

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

....

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

العـــدد السابع عشر « القاهرة فى يوم الجمعة ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العـــدد

صفحة

الملك الشـــهيد . . . !



فى ليل يوم الجمعة الماضى سكت فى (برن) قلب الملك فيصل ! وما كان فى حسبان أحد من دنياه أن هذا القلب الذى يجيش بالحياة، وينبض بالأطماع، ويستخف بالأمور الجسام، يسكت فى وحدة الغريب ووحشة الليل الرهيب هذه السكتة الفاجئة ! !

فلما نعاه البرق الى الآفاق فزع الناس الى الشك يدافعون به

هول الخطب، ورجم بعضهم بالظنون يعللون بها بغتة الحادث، وتعذر على العقل أن يفهم الموت مقرونا الى فيصل (صقر قريش) وقد كان الى أمس يقطع بعزمه الجبار أجواء الشرق والغرب حاملا فى يمناه العراق، وفى يسراه سورية، وفى قلبه «دولة العرب» !! ثم انجلى الشك وانجابت الظنون فاذا العراق واذا سورية واذا العرب أمام الفاجعة التى روعت النفوس وضرّمت الأنفاس وقوضت حصون الأمل !!

لم يجزع العرب حين نعى اليهم فيصل على نفس كسائر النفوس تغوص فى لجج العدم، وانما جزعوا هذا الجزع الهالع على آمال أمة، وجهود نهضة، ومستقبل فكرة؛ لأن ملك العراق كان مناط هذه الآمال، ومبعث هذه الجهود، وعدة هذا المستقبل!

ومن العجيب أن يكون مصدر هذا الجزع كثرة الزعماء الأكفاء لا قلتهم! فان هذه الكثرة كانت دائماً وبالا على وحدة العرب إذا لم يقم على رأسها زعيم يعتمد فى قيادتها على سلطان الدين وشرف النسب، وقد اجتمع للملك فيصل مع هاتين القوتين عقل كيس، وخلق نبيل، ونفس طموحة، وجاذبية قوية. فلاجرم أنه كان رجل الساعة لهذه الأمة الناهضة يجمع كلمتها حول رأيه، ويوحد وجهتها وراء خطاه!

***

عرفت جلالة ملك العراق أثناء مقامى ببغداد معرفة وثوق وخبرة. وكانت حال البلاد فى ذلك الحين محنة ابتليت بها كفاية الملك النابغ: فالانتداب كان قبل الملكية يعمل فى العلن ويحمل التبعة، فأصبح بعدها يعمل فى السر ولا تبعة عليه، والحكومة كانت يومئذ بادية البلى ممزقة الجوانب لا تستطيع بخروقها أن تستر العرش، فالملك بحكم الوضع كان يستر الانجليز، ولكن الوزارة بحكم الضعف كانت تكشفه. فكانت أوزار أولئك وأخطاء هؤلاء تحمل فى رأى المعارضة والشعب على الملك، وكانت البطانة بعبثها تنفض ظالمة على جد البلاط ووقاره شيئا من العبث، والشعب العراقى على اختلاف منازعه وعقائده وأجناسه ناقد متمرد طموح لا يصبر على نقص، ولا يغفل عن خطأ. فقدر فى نفسك كيف كان مصير الملك لو كان غير فيصل!

اضطلع الملك فيصل وحده بأعباء الملك والحكم والزعامة فى هذه الحال المضطربة، فكفكف بحكمته من شرّة الانتداب، وخفف بحنكته من عسف الوزارة، ولطف بحلمه من غضب الشعب، وصرّف شؤون الدولة على قدر مايسلم الرأى الحصيف من خبث الاستشارة وضعف الوزارة. ثم سهل حجابه لأمراء العشائر ورؤساء الطوائف وزعماء الاحزاب فاستل مافى صدورهم بالقول اللين والعتاب الهين والشخصية الجذابة. حتى كان الرجل منهم يدخل قصره وهو عليه. فلا يخرج منه الا وهو له! ثم نظر خارج العراق فرأى على حدوده دولا ينزّى فى صدورها حقد الماضى وطمع الحاضر. فزار تركيا وفرنسا وايران فأحال عداءها الى صداقة وجفاءها الى مودة! ثم اجتمع بملك الحجاز وأوفد الى امام اليمن فأحكم أواخى المودة بينهما وبينه. ثم هداه تفكيره العملى المرن الى أن يعالج الانتداب بالمصانعة والموادعة حتى انتهى به الى نوع من الاستقلال يحفظ الكرامة ويعين على النهوض

دخل الملك فيصل العراق دخول الامام الحسين! لا مال أمامه ولا جند خلفه! ولكن الحسين جرى على سياسة على فهلك، وجرى فيصل على سياسة معاوية فملك! ثم اعتمد فى تأثيل ملكه وانهاض شعبه على الاخلاص العامل والجد النزيه، وتحامل فى ذلك على دمه وعصبه وروحه حتى ذهب فيصل شهيد الواجب، كما ذهب الحسين شهيد الحق!!

كان الملك فيصل الأول ملكا من طراز خاص، ولعله كان أقرب الى خلفاء الصدر الأول منه الى ملوك اليوم! كان ناصع الظرف، جم التواضع، رحب الاناة، ظاهر الوداعة، زاهدا فى أبهة الملك، عازفا عن مظاهر السلطان؛ فلا يخدع بتحية، ولا يمشى فى حرس، ولا يتشدد فى حجاب.

وكان من أجمل مظاهر ديمقراطيته الأصيلة أن تراه غالبا فى شارع الرشيد أو فى طريق الصالحية يقود سيارته بيده، ويشق طريقه بنفسه، دون ربيئة من خلفه ولا طليعة بين يديه، فيسبقه أى سابق، ويزاحمه أى سائق!!

وقد تبكر ذات صباح الى مدرستك أو ديوانك فتراه فى ذرور الشمس قد طلع عليك بوجهه العربى المسنون، وقده السمهرى الممشوق، ورشاقته الرياضية البارعة، فيسلم عليك ويتحدث اليك. ثم يتعهد المكان ويتعرف العمل، ويودعك بابتسامته الرقيقة، وملحوظته الدقيقة!

ودعا مرة مؤتمر المعلمين العراقيين الى الشاى فى حديقة قصره، فكان يجلس الى كل منضدة من المناضد الكثيرة جلسة يفاكه أهلها بحلو الحديث، ويناقشهم فى وجوه الاصلاح، ثم خطبهم فى شؤون التعليم خطبة جامعة تمنى فى سياقها أن يكون معلما مع المعلمين يؤدى الى الأمة هذا الواجب المقدس. وفى صباح أحد الأيام

ظلم العـــدالة ؟ !

للأســـتاذ حسن جلال

القاضى بالمحاكم الأهلية

ومؤلف حياة نابليون والثورة الفرنسية

أصبح معنى العدالة فى البلاد التى لها (قوانين مكتوبة) كمصر غير معناها فى البلاد التى ليست لها قوانين مكتوبة كانجلترا مثلا . ومعنى العدالة فى مصر أن تطبق القوانين على الناس بالسواء . ولذلك أمكننا أن نسمع هنا من يقول « إن المساواة فى الظلم عدل ! » وكان ينبغى البحث عن وسيلة أخرى لضمان العدالة الحقيقية لا العـدالة التى كل أساسها تساوى الناس ولو عند توزيع الظلم . لأن من القوانين مالو طبق بحرفه لكان الظلم بعينه . وكل حالة من الحالات التى يراد تطبيق القانون عليها لها ظروف خاصة تجعلها تختلف عن غيرها من الحالات . فتطبيق نص القانون حرفياً على كلا الحالين دون مراعاة لهذه الظروف هو الاجحاف بعينه . وإن كان يتستر تحت اسم تطبيق العدالة باتباع نصوص القوانين . ولهـذا السبب قال الفرنسيون وهم أئمة القانون المـكتوب فى العالم :

« La lettre tue, l'esprit vivifie »

« القانون يقتل بحرفه ويحيى بروحه » . والمعنى أن القاضى الذى يطبق نص القانون بالحرف دون مراعاة للظروف قد ينتهى الى عكس النتيجة التى يصل اليها القاضى الذى ينظر الى روح القانون ويراعى ظروف الأحوال .

* * *

هذه مقدمة جافة ربما كانت غير سائغة عنـد من لا يهمه الدخول فى تفصيلات علمية . ولـكنى أسوق مثالا للايضاح يتبين منه معنى ما أردت أن أصل اليه :

رجل يبيع الفاكهة على عربة يدفعها بيديه يطوف بها الأسـواق والطرقات . هذا رمان . وهذا بلح ، وذاك عنب ، وذلك غير ذا وهذا وذاك . والرجل له زوجة صغيرة السن لم تفرغ بعد من سلخ عقدها الثانى . وللزوجين طفلة رضيعة تحملها الأم على كتفها لأنها لا تزال فى ذلك الدور الذى يكون فيه الأطفال أقرب الى الطفيليات منهم الى الكائنات الآدمية المستقلة .

هؤلاء الثلاثة هم أشخاص القصة . . .

أما القصة فتبدأ كما يأتى :

تقدمت للمحكمة هذه الأسرة بأفرادها الثلاثة وتهمتها أن الأبوين أحرزا مادة مخدرة (أفيون) بدون مسوغ قانونى ، وطلبت النيابة فيما طلبت تطبيق نص المـادة ٣٥ من قانون المخدرات الجديد الذى قُصد به محاربة المخدرات حربا رادعة

ونص المادة المذكورة هو كما يأتى :

« يعاقب بالحبس مع الشغل من سنة الى خمس سنوات وبغرامة من ٢٠٠ جنيه الى ١٠٠٠ جنيه . . . كل شخص ليس من الصيادلة أو من الاشخاص المرخص لهم بالاتجار بالجواهر المخدرة يكون قد حاز أو أحرز أو اشترى جواهر مخدرة ما لم يثبت أنه يحوز هذه الجواهر بموجب تذكرة رخصة أو تذكرة طبية أو بموجب أى نص من نصوص هذا القانون »

***

أما الوقائع فتتلخص فى أن جمـاعة من رجال البوليس الملكى خرجوا على عادتهم يجوسون خلال الأسواق والطرقات يبحثون عمن يتجر فى المخـدرات أو يتعاطاها لضبطه واتخاذ الاجراءات القانونية قِبَلَه . فصادفوا الزوج يتغنى ببلحه ورمانه وفاكهته فدهموه اذ كان يعـلم أحدهم أنه ممن يشتبه فى أمرهم لسابقة ضبطه ومعـه مقدار من الأفيون . وأخذوا يفتشونه فتولى بعضهم شخصه وملابســه . وتولى آخرون أقفاصه

غدا على المدرسة المأمونية الابتدائية فقضى ردحا من الزمن فيها ، ثم سجل اسمه فى ثبت مدرسيها !

كان الملك فيصل فى العراق ملك دولة ، ورئيس حكومة ، وزعيم أمة ، وهو فى الاقطار العربية مؤسس نهضة ، وممثل فكرة ، ورسول وحدة ، وداعية سلام ، ومعقد أمل ! فاذا هفت النفوس جزعا لفقده ، واستولى على العرب الوجوم والحيرة من بعده ، فان فى منطق الحوادث وطبيعة الامور ما يسوغ هذا الجزع ويعلل هذه الحيرة

ألهم الله الأمة العربية على جلالة ملكها فيصل أجمل الصبر ، وجعل لها فى جلالة ملكها غازى خير العوض !

احمد حسن الزيات

وبضاعته . وبيناهم آخذون فى عملهم إذ أبصر أحدهم زوج الرجل مقبلة من بعيد . فلما رأتهم محدقين بزوجها يفتشونه عادت ادراجها مسرعة ، فاوجس رجل البوليس منها ريبة وتبعها فى تلصص . حتى إذا دخلت بيتها اقتحمه عليها فأذا هى تلقى من يدها شيئا فالتقطه ، فأذا هو قطعة من الأفيون فضبطها هى الأخرى وعاد بها الى زوجها وطفلها على كتفها . واقتيدت الأسرة الى مركز الشرطة حيث حُرر ضدها (المحضر اللازم) وتحدد يوم للمحاكمة، وأحيل المتهمان على المحكمة (بعد أن القى القبض على الزوج وأفرج عن الزوجة بالضمان)

***

ظاهر القصة ينادى بأن الزوج وهو صاحب المنزل يحرز الأفيون المضبوط، إما لاستعماله الشخصى وإما لأنه يتجر فيه . ولا سيما وقد سبق للرجل أن حكم عليه بسبب احرازه أفيونا فى قضية أخرى

وكانت المحاكم تجرى فى أحكامها على إدانة الرجل فى مثل هذه الأحوال ، وتبرئة الزوجة التى ينحصر كل عملها فى محاولة تفادى الاتهام - وهو عمل مشروع من حق كل انسان أن يأتيه - وفى السعى لتخليص زوجها ورب بيتها من مأزق وقع فيه وتوشك بسببه أن تحرم من حمـايته ومعاشرته ورعايته . . .

ولكن محكمة النقض والابرام - وهى القوامة على قضاء المحاكم جميعها - فسرت نص المادة ٣٥ المذكورة تفسيراً آخر أخذت فيه بحرفية القانون - ولها عذرها فيما فعلت - وقالت : إن الشخص يجب أن يعتبر محرزاً تنطبق عليه نصوص المادة ٣٥ متى امتدت يده الى المادة المخدرة ، ولا عبرة بعد ذلك بالباعث له على تناولها ، ويستوى فى ذلك أن يكون إحرازه لها بقصد تعاطيها ، أو الاتجار فيها . أو العمل على اخفائها لتفادى ضبطها معه أو مع شخص آخر قريب اليه .

وزاد الحالة حرجاً أن هناك مادة أخرى هى المادة ٤٠ من ذلك القانون الصارم ونصها كالآتى :

« لا يجوز الحكم بايقاف تنفيذ الحبس لمن يحكم عليه فى جريمة من الجرائم المنصوص عليها فى هذا القانون - وتكون الاحكام واجبة التنفيذ فورا ولو مع حصول استئنافها. ويحرم المحكوم عليه بناء على هذا القانون من استعمال حقوقه السياسية والانتخابية لمدة خمس سنوات تبتدىء من انتهاء مدة العقوبة »

يعنى أن من يحكم عليه بسبب احرازه مخدراً لا سبيل الى استعمال الرحمة معه، فالحكم يقع عليه نافذا فورا . ولا يمكن تعليق تنفيذه أو ايقافه بحال من الأحوال ، مع أن السارق والمزور وخائن الأمانة والنصاب كل أولئك وغيرهم أيضاً تستطيع المحاكم أن توقف تنفيذ العقوبة التى تحكم بها عليهم اذا وجدت مبرراً لذلك من جنس أو سن أو نحوهما .

وقد عرضت تلك القضية التى نحن بصددها على المحكمة فلم يكن أمام قاضيها الا طريق واحد : وهو أن يأخذ الزوجة بأحرازها المادى لقطعة الأفيون المضبوطة ، فقضى عليها بالحد الأدنى للعقوبة المقررة وهى حبسها سنة واحدة مع الشغل وتغريمها ٢٠٠ جنيه وشمل حكمه أيضاً بالنفاذ . أما الرجل فلما كان لم يضبط معه شىء ، وكان قضاء محكمة النقض يفيد قصر العقوبة على المحرز أياً كان السبب فى احرازه فقد قضت المحكمة ببراءته !

***

وهكذا انقلب الوضع !

فأصبح الرجل بريئا — وهو الذى ضبط الأفيون فى بيته ، والذى يفترض فيه الأحراز بحكم جنسه وبحكم السابقة التى له . أما الزوجة - تلك الصبية الغريرة الساذجة - التى هالها أن ترى زوجها بين يدى الشرطة يوشك أن يمنع من العودة اليها وإلى طفلته . والتى خشيت أن تمتد أيديهم الى ما فى منزل زوجها فاسرعت اليه تخفيـه عن أعينهم. والتى لا يفترض فيها تعاطى الأفيون ولا الاتجار فيه بحكم جنسها وبحكم سنها ، والتى كانت يدها وهى تمدها الى الأفيون المضبوط يداً عارضة لا يقصد بها إحراز ولا حيازة ولا تعاط ولا اتجار، فهى التى أودعت السجن هى وطفلتها تبعا لأنها جزؤها الذى لا يتجزأ . وهى التى سوف تخرج من السجن بعد عام مدموغة بأنها (من ارباب السوابق) وكل ذلك باسم العدالة وباسم القانون !!

إن الانسان ليفكر مرتين قبل أن يقرر أن القوانين قد كفلت العدالة .

القلب

للاستاذ احمد أمين

رمتني آنسة في جريدة الأهرام « بأن لا قلب لي ، وان كان فليس يخفق » لأني كتبت موضوعا في مجلة الرسالة عنوانه « أدب القوة وأدب الضعف » سميت فيه الأدب الذي يضعف النفس ويمرض العاطفة أدبا ضعيفا مائعا

لك الله يا آنسة ! أفتدرين أن أشنع سُبّة يسب بها إنسان : أنه لاقلبَ له ؟ وهل المرء ألا قلبه ؟

ليس الانسان جسما بعضه القلب لكنه ، قلب غلافه الجسم

لقد قالوا : « إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه » ولكنهم — بقولهم — قد رفعوا من شأن اللسان حتى قرنوه بالقلب ، ووضعوا من قيمة القلب اذ قرنوه باللسان ، وهل اللسان إلا حاكٍ بكيٌ لأحط حركات القلب وانفعالاته ؟ وكيف يعبر المحدث عن القديم ؟ أم كيف يحيط المحدود باللامحدود ؟ وأين يقع معجم اللغة من معجم العالم ؟

إن القلب يقرأ ما رسمه الله على السماء والأرض من أشعار ، ولا يسمح منها للسان الا بالقليل التافه ، وما الشعر الملفوظ بجانب الشعر المحسوس ؟

القلب لا يكذب أبدا واللسان لا يصدقُ الا قليلا ،

لعلك يا آنسة إن فتشت عن أعجب ما خلق الله في السماء وفي الأرض لم تجدى أعجب ولا أروع ولا أدق ولا أجمل من قلب الانسان — تصلح أوتاره فيفيض رحمة وشفقة وحبا وحنانا ، ومعاني لطافاً وشعورا رقيقا ، حتى يتجاوز في سموه الملائكة المقربين ، وتفسد أوتاره فينضح قسوة وسوءا حتى يهوى الى أسفل سافلين

حوى على دقته كنه العالم إنما أدقه واجله وما أصغره وأعظمه !

يكبر — ولا نرى كبره — فيتضاءل أمامه كل كبير ،

ويصغر — ولا نرى صغره — فيتعاظم عليه كل صغير

اتحد شكل القلب واختلفت معانيه ، فقلب كالجوهر الكريم صفا لونه وراق ماؤه ، يتلقى الأشعاع ويعكسه وهو على أشد ما يكون ضوءاً ولمعانا ، وقلب كالصخر قوى متين ، ينفع ولا يلمع ، وقلب هواء ، خف وزنه ، وحال لونه — وقلب . . . وقلب . . . مما لا يحصيها الا خالقها — إن اتحدت عيون الناس وآذانهم ووجوههم ورءوسهم نوعا من الاتحاد

فان لكل انسان قلبا وحده ، ينبض بنوع من حب وكره ، وقسوة وحنان ، وإعظام واحتقار ، ورفعة وانحطاط ، لا يشركه فيه قلب آخر — وبهذا ، وبهذا وحده . اختلفت قيم الناس وتعددت مراتبهم

يموت القلب ثم يحيا ، ويحيا ثم يموت ، ويرتفع الى الأوج ، ويهبط الى الحضيض ، وبينا هو يسامى النجوم رفعة ، اذا به قد لامس القاع ضعة ، وهكذا يتذبذب في لحظة بين السماء والأرض ، والطول والعرض ، وخير الناس من احتفظ برفعة قلبه ، وسمو نفسه

هو ان شئت فردوس ، وإن شئت جحيم ، هو ان شئت مَلَك ، وان شئت شيطان ، هو ان شئت نار تتقد بالحب

هل الوجد الا ان قلبي لو دنا من الجمر قيد الرمح لاحتقر الجمر
هل الحب الا زفرة بعد زفرة وحر على الأحشاء ليس له برْد
وفيض دموع العين يا مى كلما بدا علَم من أرضكم لم يكن يبدو
وان شئت سلا فكان برْدا وسلاما
وقلت لقلبي حين لج به الهوى وكلفني مالا أطيق من الحب
الا أيها القلب الذي قاده الهوى أفق لا أقر الله عينك من قلب

القلب مركز العاطفة ، والرأس مركز العقل ، وما العقل لولا العاطفة ؟ إن العقل أكثر ما ينفع للهدم ، والقلب أكثر ما ينفع للبناء ، إن القلب يؤمن ، والعقل يلحد ، والقلب يحب والعقل يحذر

نصحتك علما بالهوى والذى أرى مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

القلب يؤسس العالم ، والعقل يسكنه . والقلب يخلق الشيء والعقل يغصبه ، سل التاريخ أليس أعظم بناة العالم قد امتازوا بكبر القلب ، وصدق الشعور ، وقوة الارادة ، أكثر مما امتازوا بسعة العقل وقوة الأدراك ؟

القلب بنى البناء ، والعقل نقده ، والقلب أحيا الشعور والعقل حدّه ،

هل تعلمين — يا آنسة — أن من وجد كل شيء وفقد قلبه لم يجد شيئاً — وان من جرد من قلبه لا يعرف صداقة ولا يدين بوطنية ولا يشعر بحنان ، ولا ينطوى على ايمان ؟

أو تعلمين أن من سُلِب القلب فقد سُلب الفن والأدب ، لأن الفن مناطه القلب ، والعلم مناطه العقل ؟ وقد سئل مصور ماهر كيف تمزج ألوانك ؟ فقال : أمزجها بدم قلبي . وكذلك الأدب الحق ، هو ما كان ذوب القلب

يا آنسة لقد رميت فأصميت ، ولشد ما خفق قلبي لسُبتك ، كأنه يريد أن يثبت وجوده !

قبر مفقـــود

للدكتور عبد الوهاب عزام

قال صاحبي : هذا مسجد النبي دانيال ، فولجنا الى الفناء فاذا جماعة من السؤال جالسين الى الجدار كأنهم موتى أعوزتهم القبور ، قال صاحبي : وهذا البناء مقبرة . فملنا ذات اليمين الى رجل واقف بباب البناء عرفنا من موقفه وأوامره أنه قيّم المقبرة

— السلام عليكم

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، هل من حاجة ؟

— ياسيدى : شاعر من شعراء الترك ووزير من وزرائهم قدم الى مصر أيام محمد على باشا ومات بهذه المدينة ودفن بجوار النبي دانيال . فهل تعرف عن قبره خبراً ؟

— أكان وزيراً فى مصر ؟

— كلا ، ولكنه مر بمصر حاجاً ثم عاد اليها بعد الحج فمات بالاسكندرية

— هذه مقبرة لأسرة الأمير عمر ، يا محمد ! اذهب معهما الى المقبرة القديمة ، أليست مفتوحة ؟

— لا ياسيدى ولكن فتحها يسير . فهناك ابراهيم

سرنا وراء الرجل يسلك بنا مضايق فى فناء المسجد حتى انتهى الى زقاق ضيق يفضى الى باب مرتفع ، فنادى ابراهيم وكلمه فجاء يحمل المفتاح ، وتقدم نحو الباب ففتحه ثم ألقى خشبة ضخمة على كوم من الحطب أمام الباب فارتقى عليها ودخل فاتبعناه :

سور قصير يحيط بعرصة واسعة فيها ارتفاع وانخفاض وأكوام من التراب وأكداس صغيرة من الأحجار ، يبدو بداخلها قبران الى اليمين عليهما نُصُبان من الرخام ، واذا أنعم النظر تبين قبرين دارسين او ثلاثة فى أرجاء أخرى

قال ابراهيم : ليس هنا الا القبران اللذان ترى ، فتأملت كتابة تركية فقرأت مافى سطور الفناء من عظات وتواريخ وأسماء ، فاذا اسمان آخران ودفينان مضى عليهما زهاء ثمانين عاماً . فجلت فى أرجاء المقبرة فرأيت قبرا عليه نصب واقع يتضمن اسما آخر ، ثم مررت بقبر لا نصب عليه ، وبنصب لا قبر له : بطشت يد الزمان العسراء ، ببقايا الفناء !

تتخلف الآثار عن أصحابها   حينا ويدركها الفناء فتتبع

لبثت حينا أسائل القبور والأحجار فلم تحرِ عن الشاعر جوابا . فرجعت الى ابراهيم فقال : كانت هذه الأرض كلها قبورا فذهب بها الحَفْر . قلت أى حفر ؟ قال : قلبوا الأرض يفتشون عن قبر الاسكندر . وقد أخرجوا ما ضمنته الأرض من أحجار وعظام الى عشرين مترا فلم يظفروا بشيء . قلت انها لتعزية : إن فقدنا قبر شاعرنا فقد ضلّ فى ثنايا الأرض وظلمات التاريخ قبر الملك العظيم الفاتح الاسكندر بن فليب ، انها لتعزية !

رجعنا الى صاحبنا الذى أشار بالذهاب الى المقبرة القديمة فقال:

— هل عثرتم على القبر المنشود ؟

— لا . رأينا قبورا قليلة . وقرأنا ما وجدنا من أنصاب فلم نجد قبر عاكف باشا

— هنا مقبرة سعيد باشا . أيمكن أن يكون مدفونا هنالك ؟

— ليس بعيدا فقد حدث التاريخ أن محمد على باشا أحسن وفادته وبالغ فى الحفاوة به . فليس بدعا أن يكون قد أمر بدفنه بين قبور الأمراء .

— يافلان (قيم مقبرة سعيد باشا) وكان بجانبه ، ادخل بهما لعلهما يجدان القبر ، فأحسبنى رأيت هذا الاسم على بعض القبور

— عندى أوراق فيها أسماء القبور كلها فتفضلا معى .

ودخل الى بَهْو به مكتب ، فأخرج ورقتين فيهما أسماء معظمة لأمراء وأميرات ، أسماء كانت عناوين حياة حافلة بالعظمة والرفاهية ، مليئة بخطوب الزمان ، ونوب الأيام ، وما هى الآن إلا أسماء قبور . ما وجدت « عاكف باشا » بين الأسماء ، فشكرت الرجلين وانصرفت .

قال صاحبي : لم تعثر عليه

قلت : أجل ، ولكنى أعلم أنه فى باطن الأرض ، فان يكن لا بد لشاعرنا من قبر ، ! فهب الأرض كلها قبره : ياأخى ، انما يخلد الناس بالآثار ، لا بهذه الأحجار . وقد صدق جلال الدين الرومى إذ قال :

بعد أزوفات تربت ما درزمين مجوى

درسينه هاى مردم عارف مزار ماست:

فلا تطلبن فى الأرض قبرى فانما

صـــدور الرجال العارفين مزارى(١)

اسكندريه ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٣ — عبد الوهاب عزام

(١) مزار كلمة مشتقة من الزيارة وهى تقال للقبر فى الفارسية والتركية وقد آثرت ابقاءها فى الترجمة

مناظر من موقعة صفين

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

اجتمع فى سهل صفين جمعان من العرب لم يشهد تاريخ ذلك الشعب اجتماع مثلهما فى موقعة منذ الزمن القديم المعروف فى التاريخ ، فقد كانت المواقع القديمة لاتزيد على أن تكون معارك بين بضع مئات . فلما كان الاسلام سمعنا عن موقعة حنين وقد اعجبت المسلمين كثرتهم اذ كانوا عشرة آلاف . فلما خرج العرب الى حروب الروم والفرس زاد عدد الجنود فصار الى عشرات الآلاف . فكان عدد العرب مثلا فى اليرموك ستة واربعين الفا ، وكان عددهم فى القادسية ثلاثين الفا ، وفى نهاوند كذلك ثلاثين الفا . واما فى صفين فلم يكن جيش علىّ بأقل من سبعين الفا . ولم يكن جيش معاوية بأقل من تسعين الفا .

وكان معاوية السابق الى النزول فى سهل صفين ، فاختار لجيشه سهلا فسيحا متصلا بنهر الفرات فى مكان يسهل الاستقاء منه . ولم يكن فى ذلك الجزء من نهر الفرات الأعلى مكان غيره يمكن الشرب منه ، إذ ان النهر يجرى هناك فى اقليم الجبال فيغلب على مجراه ان يكون عميقا قائم الجوانب سريع التيار

ولعل معاوية كان يريد السبق الى اختيار ذلك المكان ليكسب الموقعة قبل أن يلتحم الجيشان . فلما اقبل على فى جيشه رأى عدوه نازلا فى خير المنازل وقابضاً على ناصية الشريعة. وقد وقفت كتيبة من جيشه لتدافع عن مورد الماء إذا حاول عدوه أن يصل اليه .

كانت خطة على فى حروبه أن يأمر جنده بالكف عن القتال حتى يحاول حل الخلاف بالحجة والمسالمة . حقاً لم تفده هذه الخطة فى كثير من المواطن ، ولكنه لم يخرج عنها مرة واحدة فى حرب من حروبه . وقد كان فى هذه الموقعة جارياً على عادته هذه ، فانه أمر أصحابه ألا يتعرضوا لأحد من جيش معاوية حتى يراسله فيما جاء له . ولكن العطش ألح على أصحابه ، فالتمسوا مكاناً على النهر يستطيعون أن يشربوا منه فلم يستطيعوا. فأرسل على الى معاوية يطلب اليه أباحة الماء لأصحابه فأبى . فلم يكن بد من القتال على الماء قبل محاولة المفاوضة فيما جاء له الجيشان .

وكان بطل القتال فى ذلك اليوم الأول رجلا أسمه الأشعث ابن قيس ، كثر تردد اسمه فيما بعد فى آخر الموقعة . وقد كان من قبل خلافة على عاملا لعثمان على أزربيجان ، فلما قتل عثمان دخل فى طاعة على حتى جاء معه لمحاربة معاوية فى صفين . ولكنه كان ممن ينظر اليهم بعين الريب فى جيش على . ولا يمكن أن يكون الأمر على غير ذلك لأن جيش على كان لا يثق بأحد ممن كان يعمل لعثمان ، على أن الاشعث كان يطمع فى الصدارة والرياسة ، وهاهى فرصة تهيأت له فتقدم اليها مسارعا، فطلب الى على أن يخرجه لقتال القوم على الماء فاذن له على فى ذلك . واشتدت الحرب وتوالت الامداد من الجانبين وانتصر جيش على وأصبحت الشريعة فى يده، وارتدت جنود معاوية الى مكان بعيد عن النهر ، وتقدمت جنود على فنزلت فى ناحية من السهل الفسيح الذى كانت جيوش معاوية تحل فيه وتملك الانتقال خلاله .

كثر تحدث الجنود والقواد بعد ذلك فيما يظنونه من صنع على عقب انتصاره ، فمن قائل إنه يقابل الاساءة بمثلها ، ومن قائل إنه يتفضل على عادته فى النبل ، وقال عمرو بن العاص : « ما اظنه يمنعنا الماء كما منعناه من قبل . لانه قد جاء لغير ذلك» وكان عمرو أصدق المتوقعين ، فان عليا أبى ان يمنع أحدا ورود الماء . وقد يسائل احدنا نفسه : « ما ذا كان يجب عليه أن يفعل؟ »

وقد يجيب بحسب مايظنه الأمثل والاصلح ، ولكن لا يشك أحد فى وصف ما أتاه على بأنه نبل .

نزلت جنود على فى سهل صفين فى أواخر ذى الحجة ، فلما دخل المحرم اتفق الجيشان على الموادعة مدة الشهر الحرام ، وكان على يرجو أن يستطيع فى اثنائه حسم الشر والوصول الى توحيد كلمة المسلمين بغير حرب ، غير أنه كان يعلم أن معاوية لايقصد غير الملك ، وما كانت الحجج لتستطيع أن تحوله عن مثل ذلك القصد . غير أنه كان يطمع فى أن يستميل بالحجة أهل الرأى ممن مع معاوية ، فكانت رسله تختلف الى معاوية تحمل من الحجج ماهو أشبه بالدعاية السياسية منه بالمراسلة المعتادة بين رئيسى حزبين متعاديين ، وكان ينتهز فرصة وفود رسل معاوية لكى يحاول أن يستميلهم بالحجة ، وكان اذا وجد من هؤلاء الرسل انصرافا عن حجته وتمسكا بمعاوية أظهر أشد الاسف حتى ليقول مثلا : « انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » فلما رأى المحرم قد مضى وأيقن أن تلك المحاولات لم تفده شيئا ، أمر أحد قواده أن يعلن استئناف القتال ، ولم يرض أن يهاجم أعداءه حتى يعلن اليهم عزمه . فلما غربت شمس آخر يوم من المحرم نادى مناديه باعلان الحرب معتذرا بأنهم أبوا الاذعان للحجة ولم يلبوا الدعوة الى الاسلام . وابتدأت المصادمة على شكل مواقع جزئية ، وذلك بأن ترسل كتيبة من جيش على

فتلقاها كتيبة من جيش معاوية فتجاولان مدة نهار حتى يحجز بينهما الليل ، وكانت القتلى فى مثل هذه المجاولات قليلة العدد . وكان الناس اذا أقبل الليل يضعون السلاح ويدخل بعضهم الى خيم بعض فيتحادثون ويتسامرون ويسمع بعضهم قول بعض فى غير قتال حتى تستأنف المعركة سيرها فى اليوم التالى . وقد استمر الحال على ذلك مدة الأسبوع الاول من المعركة . ثم عزم على المقاتلة بكل جيشه فى يوم الاربعاء الثانى من شهر صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة .

وكان الجيشان مرتبين حسب النظام المتبع حين ذلك . وهو أن يجعل لكل منهما قلب وجناحان، وكان الهجوم يحدث من الجناحين أو من أحدهما ويكون القائد فى القلب ومعه أوثق جنوده يهجم بهم وقت الضرورة ، أو يمد بهم من يحتاج الى المدد من الجناحين . وقد بدأ على الهجوم بجناحه الأيمن وجل جنوده من أهل اليمن ، فهبطوا على جناح معاوية الأيسر ، وكان قائد ميمنة على أحد شجعان العرب وقرائهم وهو عبدالله بن بديل ، فكانت الحملة الأولى تيارا قويا تزعزعت له ميسرة معاوية حتى اضطر الى امدادها بالشجعان الذين معه فى القلب وهم الذين بايعوه على الموت ، وعندذلك قويت ميسرة معاوية وكرت على ميمنة على حتى ردتها ، ولم يبق ثابتا الا القائد مع مائتين أو يزيدون استماتوا فى القتال أمام الجموع المتزايدة الجرارة التى تدفقت عليهم ، فلما رأى على أن ميمنته ارتدت هذا الارتداد السريع الذى لم يكن متوقعا عقب الانتصار الأول حاول أن يقابل الهجوم بمن معه فى القلب وكانوا من مضر . فلم يستطع أن يرد بهم ذلك التيار واضطر إلى أن ينحاز الى ميسرته وكان جل جنودها من ربيعة . فلما رأت الميسرة ما حاق بالميمنة والقلب وانحياز الخليفة اليها ثارت فيها الحمية وثبتت ثباتاً عظيما ووقف على معهم يحارب بنفسه .

رأى احد قواد على وهو الاشتر النخعى ما حاق بالميمنة من الهزيمة وكان يمنيا . فثارت روحه القوية وجاشت نفسه الباسلة فأسرع نحو المنهزمين وتمكن بقوة نفسه وشجاعة قلبه وفصاحة لسانه من أن يرجع كثيراً منهم ويذمرهم ويثير فيهم الحماسة حتى التف حوله عدد عظيم ممن كان انهزم من الميمنة . فعطف بهم الى القتال فأدرك عبدالله بن بديل وهو بآخر رمق من الجهد يقاتل مع اصحابه القلائل المستميتين . فأعاد الكفة الى الرجحان ومازال يقاتل حتى صار القتال متكافئاً بين الفريقين ، ولما رأى على ذلك عاد الى الميمنة وجعل يشجعهم ويذمرهم .

وأقبل الليل والكفتان متراجحتان بعد ، ولم يشأ أحد من الفريقين أن يقف القتال أثناء الليل إذ كان كل منهما يعض على النواجذ من أجل النصر .

وأصبح الصباح فاذا بجنود على فى الميمنة لا يزالون منتصرين مع الأشتر النخعى حتى صرعوا صفوف المعقلين الذين التفوا حول معاوية وقد بايعوه على الموت وعقلوا أنفسهم بالعمائم حتى لا يستطيعوا الانصراف من حوله ، وكانت الميسرة كذلك منتصرة قد أوشكت أن تبلغ الى قلب جيش معاوية وجعلته يفكر فى الفرار . وفيما كان الامر على ذلك أرتفعت صيحة من ميمنة جيش معاوية وما زالت تتزايد حتى بلغت ميسرة جيش على ، فاذا الصيحة ترتفع فيها حتى تبلغ علياً ويأخذ قواده فى المجادلة فيما بينهم ثم تنتقل المجادلة حتى تصبح بينهم وبين الخليفة . وتلك هى صيحة تحكيم القرآن إذ رفع جند الشام المصاحف على الرماح وقالوا : « قفوا تلك الحرب الطاحنة ، الى متى يتطاحن المسلمون ؟ لقد قرب المسلمون من التفانى .

ومن يكون لحرب الفرس ومن يكون لحرب الروم اذا نحن تفانينا وقتل بعضنا بعضا ؟ »

تردد علىٌّ فى وقف الحرب وعلم أن تلك خدعة لجأ اليها عدوه عند ما رأى كفة النصر تنصرف عنه . ولكن بعض قواده هدده بالثورة عليه . وكان أشدهم فى ذلك الأشعث بن قيس صاحب الانتصار العظيم يوم الشريعة . فاضطر على أن يبعث الى ميمنته المنتصرة لوقف الحرب . وتردد الاشتر فى ترك الحرب وقد أوشك أن ينتصر . فاعاد الامام أمره الى الاشتر بوقف الحرب وأفضى اليه بنبأ ثورة قواد ميسرته ، فاضطر إلى أن يرفع يده وعاد الى على محنقا ثائرا ساخطا على افلات النصر من يده وكان قد ظنه قريبا .

ولم يمض بعد ذلك زمن طويل حتى كتبت صحيفة التحكيم وانصرف الجيشان أولهما الى الشام وهم فرحون اذ أفلتوا من هزيمة محققة ، وثانيهما الى العراق وهم يتلاومون ويتجادلون ويختلفون وفى قلوبهم أشد الاسى عل ما أصابهم من الخذلان بعد وشك الانتصار .

وإنا نسائل النفس عن علة هذا الفشل العجيب ولا نستطيع أن نقنع النفس بأن الحوادث الظاهرة كانت كافية لأحداثه . فان أمر هذه الهزيمة كان شبيهاً بعود من الثقاب أشعلته فرأيت من إشعاله انفجاراً مدمراً لم يكن ليخطر لأحد ببال . فاذا عزى الانفجار الى عود الثقاب كان ذلك إهمالا لذلك الغاز الملتهب الذى كان خفياً عن الأعين فأحدث الانفجار المروع عند ما اشتعل فيه ذلك العود الضئيل . إن الحرب هى الجهد الأعظم الذى ينتهى اليه الخصام بين حزبين . وفيه يبذل كل جانب أقصى ما عنده من الهمة ليفوز . وقد لا يتورع المحارب عن الكيد بالكذب والدس والتجسس ، وقديماً أباح الناس أمثال هذه الدنايا فى الحروب مع تحريمهم . إياها فى المعاملة المعتادة .

(تتمة المقال فى العدد المقبل)

الشعر المرسل

للآنسة سهير القلماوى

ليسانسيه فى الآداب

فى مقال الأستاذ قدرى لطفى الذى نشر بالعدد الخامس عشر من الرسالة أشياء كثيرة يحسن الاجابة عنها ، لولا انى احببت أن أكتب هذا المقال عن رأيى فى الشعر المرسل لا فى الرد على الأستاذ . ولكنى لا أترك مقال الاستاذ هكذا بل سأطلعك على بعض فقرات ترى منها انى لم أهمل الاجابة عنه لانها شاقة بل لأنها من السهولة بحيث يعرفها القارىء متى قرأ المقال .

انظر الى قوله مثلا : « اما تمام المعنى فى البيت الواحد فلم يكن من خصائص الشعر العربى وإنما كان من خصائص الشعراء العرب » . . !! وخبرنى بعد معنى هذا القول ومدى نصيبه من الصحة .

ثم انظر الى قوله « ولا أحسب أحدا يدعونا إلى ترك الشعر القديم واهماله لنفسح المجال للشعر المرسل فى غير حاجة ماسة ولا ضرورة ملجئة » وخبرنى بعد من ذا الذى يريد للفن أن يخضع للضرورات الملجئات والحاجات الملحات ، وخبرنى أيضاً إذا دعونا الى الشعر المرسل كان معنى هذا أن نهمل الشعر المقفى . لم لا يجوز وجودهما معاً ، وكلنا يعلم أن الشعر المرسل فى كل لغة وجد فيها لم يمح الشعر المقفى وانما وجد بجانبه .

وأمثال هذين المثلين كثير فليقرأ القارىء مقال الاستاذ فهو خير دليل على ما زعم .

ولقد تورط الأستاذ ابان ثورته غيرة على القافية فى غير هذا النوع من الخطأ . فقد زعم أنى قلت : « انى لا أشعر بفقد القافية ما دام المعنى كاملا فى البيت » ; زعم الأستاذ انى أريد بذلك حكما أو تأثيراً فى الحكم على قصيدتى . وانا وان كنت لا ألوم الأستاذ على هذا النوع من الفهم لما يقرأ الا اننى أذكر له انى لو لم أدون فكرتى فى هذا النوع من الشعر المرسل الذى نظمت به قصيدتى لأسأت الى نفسى والى قارئى لأنى أؤمن تماماً أن من واجب الكاتب أن يصور للقارىء فكرته واضحة جلية ، ولما كانت فكرتى شيئاً يتعلق بالحس فقد صورت للقارىء شعورى . ولكن الفرق بين طريقتى فى التعبير وبين طريقة الأستاذ ، هو أنى دونت شعورى ونسبته الى نفسى ، أما هو فقد دون شعوره وعممه متخذا نفسه مقياساً لكل قارىء ، انظر الى قوله : « ولكن اصطدام القارىء بحروف متغايرة فى أواخر الأبيات يشعره بفقدان الوزن فى ثناياها !! »

ولندع مقال الأستاذ لأدون رأيى فى مسألة الشعر المرسل واضحاً جلياً حتى لا يتورط غير الأستاذ فيما تورط فيه .

الجدال فى الشعر المرسل لا يقوم على أساس ، فالمسألة ليست من مسائل الحساب أو المنطق ، وانما هى مسألة حس . أنت تسمع نغما فيعجبك ، وأنا أسمعه فلا يعجبنى ، فاذا تناقشنا أعواماً ما استطاع أن يقنع أحدنا الآخر . أذنى تستسيغ الشعر العربى مرسلا ، وقد تكون أذنى شاذة ، ولكنك لن تقنعنى بعدم استساغته . ستقول لى : ولكن المسألة ليست فوضى ، فهناك الذوق العام ، ولكنى وإن كنت احترم الذوق العام لا أقبل حكمه دائماً ، وفى كل الأحوال ، فالذوق العام له تاريخ فى مثل هذه الأحوال يجعلنى أتشبث برأيى . فقد يستسيغ الذوق العام غداً ويشغف بما لم يطق سماعه بالأمس ، وفى مسألة الشعر المرسل خاصة كان للذوق العام تاريخ يعيد نفسه منذ كان هذا النوع من الشعر بغيضاً غير مستساغ أول ظهوره فى كل لغة ظهر فيها ، فلا ضير أن يكون كذلك فى اللغة العربية أيضاً .

ثم هناك ناحية أخرى ، فالذوق العام لا يستطيع اليوم أن يحكم حكماً عادلا فى الشعر المرسل لأنه لم يسمع منه الا القليل ، وقد لا يكون فى هذا القليل شىء جميل رائع كالذى فى الشعر المقفى .

وقد تقول لى أخيراً أن طبيعة اللغة العربية لا توافق مثل هذا النوع من الشعر ، وأنا وإن كنت لا استطيع التحدث عن طبيعة اللغة العربية بمثل هذه السهولة الا انى أزعم أنها قد تتحور

قليلا فتقبله. وأنت ان استطعت الحكم على الماضى والحاضر فلن تستطيع الحكم على المستقبل . ولكن مابال طبيعة اللغة قبلت تغيير القافية فى القصيدة الواحدة اذا غيرتها كل خمسة أبيات مثلا، ولا تقبلها اذا غيرتها؟ فى كل بيت . ثم مابال طبيعة اللغة قبلت تغيير القافية فى كل بيت اذا ما راعيت القافية بين شطرى كل بيت على حدة ، ولا تقبل تغير القافية دون مراعاة الموافقة بين الشطرين ؟ ثم ما بالها أخيرا قبلت تغير البحور فى القصيدة الواحدة ولا تقبل تغير القافية ولزوم بحر واحد ؟ ستقول ولكن فى كل هذا نوع من القافية كافياً لاحداث تلك الموسيقى المألوفة . اذن لقد أصبحت تقتنع بشىء من القافية بعد أن كان الشعر العربى لا يقنع الا بالقافية كلها متبعة من أول القصيدة الى آخرها . واذا قبلت اللغة بعض التغير فانى أزعم أنها ستقبل التغير كاملا .

وما رأيك فى أنى أرى فى الشعر المرسل أنواعاً جديدة من الموسيقى يعجز عنها بل قد يفسدها الشعر المقفى ؟

الوزن فى القصيـــدة ليس بالنغم الخافت الذى تسمعه الأذن ، فهو عندى وأظن عندنا جميعاً أقوى موسيقى فى الشعر. ثم هناك موسيقى الألفاظ وموسيقى الحروف ، فهل من المحتوم وجود القافية المكررة المحركة بحركة معينة حتى نشعر بأن هناك موسيقى ؟

والغريب أنه بينما نحن نتناقش فى الشعر المرسل يتناقش الأدباء الأمريكيون الحديثون فى الشعر الحديث الذى لا وزن له ولا قافية .

ليطمئن قرائى فسيفنى عمرى فى الدعوة إلى الشعر المرسل ، فهل يتيسر لى أن أدعو الى هذا الشعر الحديث الذى لا أستسيغه الآن ؟ ولكنى لا أعرف ، فقد استسيغه غدا .

وأخيراً أرى كما أسلفت أن المجال ليس مجال جدال، وإنما خير رد على خصوم الشعر المرسل هو أن أكتب وأن يكتب غيرى من أنصار الشعر المرسل قصائد نستطيع أن نقنع بها الذوق العام الذى نحترمه جميعاً ، وأن نقنع بها أيضاً من يهمنا اقناعهم .

سهير القلماوى

العالم يجرى !!

كل شىء يجرى فى هذا العصر ، وكل شىء يسرع . والعالم فى اسراعه للأمام ، لا يكاد يتلفت يمنة ولا يسرة ، وان كان يتجه الى الخلف فى أحيان قليلة ، ليرى كم قطع من المسافات

فالبخار لم يعد يستطيع تلبية هذه الحاجة الملحة للسرعة فخلفه الطيران ، والطائرات نفسها تكاد تعجز عن تلبيتها ، فتزيد كل يوم فى سرعتها ، وتقوم المسابقات العالميـــة لهذا الغرض .

والتليفون والبرق لم يعودا كافيين ، فاذا بالراديو واذا بالتلفزيون لنقل الاصوات ولنقل الصور ، بل لنقل المناظر ذاتهـا لا صورتها . واذا بالأفلام الناطقـة تعرض الصوت والحركة ، وتغنى بالعين والسمع عن الوهم والخيال !

هذه الظاهرة السيكلوجية الغريبة ، قد جرفت معها الأدب أيضاً ، وجرفت الفنون جميعا ، وكان ذلك طبيعيا ، لأن الفنون هى الظاهرة للنفس الباطنة .

فالفن اليوم لمحات خاطفة ، وملاحظات سريعة ، لا يقف للدرس العميق ، والتحليل الدقيق ، لأن طبيعة العصر لا تمهله للوقوف ، وإلا سبقته الحياة بآلاف الأميال

والمجلات العلمية اليوم تكاد تنعدم ، والباقى منها أخذته نشـوة السرعة أيضا فلم تعد بحوثه مركزة ، ومع ذلك فهى لا تجد العـدد الكافى من القراء فتضمحل وتذوى ، وتدرج فى زوايا النسيان .

وأنا على يقين من تبدل هذه الحال ، فالعالم الذى يجرى الآن بكل قوته ، لابد أن يدركه الكلال ، ولابد أن تنقطع به هذه النشوة الطائشة ، فيتمهل ليعرف ما يحيط به

وسيضحك العالم من نفسه يومئـذ على تلك الحماقة التى ارتكبها ، كما يرتكب الأطفال حماقاتهم ، ركضا وجريا ووثبا

ثم يفيقون من هذه الغمرة عندما يكتمل نضجهم ، ويتوبون الى الرشـــاد .

النشاط شيء ، والعجلة شيء آخر ؛ واذا كان النشاط من مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، فليس للعجلة هذه المزية مطلقاً، بل أن لها أضرارا ، قد لا تعرف اليوم فى أبان هذه النزوة الطائشة؛ وقد تعرف ولكنها لا ترد إلى أسبابها الحقيقية ، ولا تعلم علاتها الأصلية !

ويقيني أن هذه الأزمات التي يعانيها العالم اليوم من مالية وسياسية وأدبية واجتماعية ، انما منشؤها هذه السرعة ، هذا التسابق ، هذا الجنون ، الذى يعمى الانسان عما حواليه ، فلا يرى إلا الامام . دون ما على الايمان والشمائل . . وحتى حين يصطدم بما حواليه ، فهو لا يقف ليتأمل ، أو ليصلح ما أصابه من الاصطدام ، بل ينطلق إلى الأمام أيضاً ، محتملا أثر الصدمة تلو الصدمة حتى يلحقه العطب الكامل . . . فتكون هذه الأزمات !

إن السائق الذى يعرف كيف يسوق ولا يعرف كيف يقف : أو يدرى كيف يسرع ، ولا يدرى كيف يبطىء ، إنما هو سائق جاهل ، غير مأمون على نفسه ولا على الركاب . وإذا كان للقيادة السريعة لذة فى النفس ونشوة ؛ فليس معنى هذا أنها أحسن القيادات وأولاها بالاتباع

* * *

وبعد ففى مصر اليوم دعوة حارة ومخطرة معاً ، الى تقليد الغرب ، والجرى وراء الغرب ، وإن كان الغرب نفسه لا لا يعرف اليوم وجهته، وهو شارد كالضال فى متاهات الحياة، فكأننا سنجرى وراء من يجرى وهو لا يعرف مبتغاه ! ! !

وهذه الدعوة مفهومة من الوجهة « السيكلوجية » ، وقد عرف « ابن خلدون » أسبابها منذ قرون حينما عللها . بأن المغلوب يميل بطبيعته لتقليد الغالب لأعتقاده أن غلبته له إنما كانت لخصائص فيه .

والسيكلوجية الحديثة تقر ما ذكره ابن خلدون، وتضيف إليه نظرية العقل الباطن ، إذ يندفع الانسان فى بعض الأحيان ، الى أمور لا دخل لارادته فيها ، ولا لتفكيره ، بحكم إندساسها فى العقل الباطن ، من مخلفات مشاهداته ، أو ملاحظاته أو تفكيره التى يغمرها النسيان .

وهـــذه الدعوة مع أنها مفهومة وطبيعية ، ليست مُسَلَّمة : ومن الواجب التحذير منها ، وابرازها للنور ، بعيداً عن المؤثرات النفسية الغامضة . واذا كانت الحرب العظمى قد أفقدت العالم الغربى اتِّزانه وطمأنينته : وبعثته من المكامن والخنادق وحفر الموت ، مأخوذا ، مشدوها ، مجنونا . . . فليس من الواجب أن يفقد الشرق طمأنينته كذلك ، ويجرى وراء الغرب المأخوذ المشدوه ، دون ما تأمل ولا تفكير !

إن للشرق رسالة قد يكون الآن موعدها ، ورسالته هذه ستقوم على خصائصه الأصلية فيه ، وستصبح واجبـــة بل أصبحت ـ لأن الغرب يكاد يتهالك ضعفاً وأعياء لفرط جريه ، وكثرة اصطداماته .

نحن لا ننكره النشاط كما قلنا . ولكن ننكره العجلة . ونريد أن يحتفظ الشرق بشىء من يقينه ، ومن عمقه واتساعه ، ومن سحره أيضاً ! ، وألا يفرط فى تقليد الغرب ، ولا سيما والغرب يتخبط ، ويئن ، ويشكو من الصدمات ولم يوفق بعد لاتقائها ، لأن النشوة لا تزال تطيف برأسه فيجرى ، وينهكه الجرى ، ولكنه لا يكف عن الجريان !

سيد قطب

مطالعات فى التصوف الاسلامى

عوارف المعارف ـ منشأ علوم الصوفية وفضلها

— ٢ —

وقفت بك فى نهاية الفصل الماضى عند ترجمة موجزة لحياة شهاب الدين السهروردى مؤلف كتاب « عوارف المعارف » وأحب أن أقف بك فى هذا الفصل عند الباب الأول والثالث من هذا الكتاب حيث يحدثنا المؤلف عن منشأ علوم الصوفية وعن فضل هذه العلوم وما تمتاز بها على غيرها من فروع المعرفة الانسانية . ولكنى أحب قبل هذا أن أعطيك صورة عامة مقاربة لأبواب هذا الكتاب فى جملتها . يقع « عوارف المعارف » فى نيف وستين باباً منها المطول المسهب ومنها المختصر الموجز . وفيها القوى الدقيق المسرف فى القوة والدقة . والضعيف المهلهل الذى لا يشتمل على فكرة منظمة ولا منطق منسجم يربط أجزاءه ويلم شعث عناصره . ولكن الكتاب فى جملته خصب حقا ممتع حقا نافع حقا . وهو من هذه الناحية اقدر على أن يعطينا صورة قوية شاملة لما احتوى عليه التصوف من وجدانيات واشارات وأحوال ومقامات . ولعل من أنفع أبوابه وأوفاها هذه الأبواب التى تناول فيها المؤلف بيان منشأ علوم الصوفية وفضلها . وماهية التصوف . وسبب تسميتهم بهذا الاسم وأخلاقهم ومعرفتهم لانفسهم ومكاشفاتهم فى ذلك . وشرح الحال والمقام والفرق بينهما . تلك هى أهم الأبواب وأ كثرها حظاً من الدقة والغناء . فلنترك اذاً هذا الضرب من الكلام العام لنقف عند الباب الاول الذى أبان فيه المؤلف عن منشأ علوم الصوفية . والباب الثالث الذى أظهرنا فيه على فضل هذه العلوم وذكر نماذج منها

***

استهل مؤلف « عوارف المعارف » الباب الاول من كتابه بهذا الحديث الشريف : « انما مثلى ومثل مابعثنى الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : ياقوم إنى رأيت الجيش بعينى وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء . فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا . وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم . فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ماجئت به ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق » ثم عقب على هذا الحديث بحديث آخر هو أبلغ فى الدلالة على ما قصد اليه وهذا الحديث هو . « مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا . فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها طائفة اخاذات امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . وكانت منها طائفة أخرى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله . ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

والغرض الذى يرمى اليه المؤلف من ايراد هذين الحديثين هو أنه يريد أن يستخلص منهما القيمة المعنوية لنفوس الصوفية والابانة عن أن هذه النفوس كانت أكثر قابلية من غيرها لما جاء به ودعا اليه من الهدى والنور رسول الله صلى الله عليه وسلم . وان حظها من صفاء السرائر ونقاء الضمائر وذكاء القلب اوفر من حظ غيرها . فنفوس العلماء الزاهدين زكت . وسرائرهم صفت ، وقلوبهم صقلت وتهيأ لها من العلم حظ لم يتهيأ لغيرها من النفوس . وبعبارة اخرى كانت هذه النفوس كأوعية للعلوم كما قال مسروق عن اصحاب رسول الله . وقلوب الصوفية واعية لانهم زهدوا فى الدنيا بعد أن احكموا أساس التقوى . ومن هنا زكت نفوسهم بالتقوى وصفت قلوبهم بالزهد . فكانت تقواهم عونا لهم على أن تصقل مرايا سرائرهم وتجلى صفحات ضمائرهم . وكان زهدهم عونا لهم على ان ينصرفوا عن الدنيا وعلى أن يقبلوا على الدين اقبالا من شأنه ان يقربهم من الله ويوحدهم معه ويفنيهم فيه .

يأخذ المؤلف بعد هذا فى اظهارنا على مكان العلوم الصوفية بين العلوم الاسلامية الاخرى . فذكر من هذه العلوم التفسير والحديث والفقه واصول الفقه والخلاف والجدل . ثم اخذ يعرض علينا تفاسير مختلفة للاية الكريمة « انزل من السماء ماء » وانتهى من هذه التفاسير الى تطبيق مااشتملت عليه هذه الآية بالنسبة الى العلماء الذين تخصص كل منهم فى فرع من هذه العلوم التى ذكرها آنفا . ثم انتهى من هذا كله الى أن الماء الذى انزل من السماء هو العلم والى ان اوعيته هى القلوب . فمن هذه القلوب ما سال واديه بالتفسير فكان علم التفسير . ومنها ما سال بحفظ رواية الحديث وسنده وتمييز صحيحه من سقيمه فكان علم الحديث . وعلى هذا النحو من التأويل والفهم يمكنك ان تقول فى غير علمى التفسير والحديث ما قيل فى كل من التفسير والحديث ، واما علوم الصوفية فنشأت من أن نفوسهم قد احكمت اساس التقوى وزهدت فيما اشتملت عليه الدنيا من عرض زائل وزخرف حائل . فسالت اودية قلوبهم بما انصب منها من مياه العلوم التى اجتمعت فصارت هذه القلوب اخاذات .

اخذ الصوفيه حظا من علم الدراسة فأفادهم هذا الحظ من ناحية انه اظهرهم على الاحكام الظاهرة للعبادات فعلموها وعملوا بها . ثم تميزوا على غيرهم من علماء الدين بعلم آخر خاص بهم قاصر عليهم هذا العلم هو علم الوراثة . وعلم الوراثة هو علم العالم الزاهد المتقى الذى فقه الدين فقها ابان له عن قواعده واصوله بحيث يتعرف المعنى الحقيقى للدين . وليس الدين شيئا آخر غير الانقياد والخضوع فهو مشتق من الدون . وكل شيء تضع فهو دون . فعلى هذا يصبح الدين عبارة عن ان يخضع الانسان نفسه لربه وينقاد لما أمر به . وافضل مراتب العبادة الفقه فى الدين . فمن كان افقه فى الدين واعرف باصوله كانت نفسه أسرع اجابة وقلبه اشد انقيادا لمعالم الدين واصوله .

فانت ترى من هذه الملاحظات التى ذكرها السهروردى فى هذا الباب ان علم الشريعة قد انقسم الى قسمين متمايزين : قسم اختص به الفقهاء واهل الفتيا للاحكام العامة والعبادات والمعاملات . وقسم اختص به الصوفية واهل الباطن اشتمل على ما يتعلق بهم من مراقبات ومحاسبات، ورياضات ومجاهدات، واحوال ومقامات. وما الى ذلك من الأمور الكثيرة التى نراها منبثة فى تضاعيف علومهم ومعارفهم . كتب الفقهاء كتبهم فدونوا فيها الاحكام التى استخلصوها من القرآن والحديث . وكتب الصوفية كتبهم فدونوا فيها مكاشفاتهم ومواجدهم التى انتهوا اليها عن طريق القرآن والحديث . ولكن هناك فرقا بين فقه الفقهاء وتصوف الصوفية . ذلك أن الفقه هو علم الاحكام الظاهرة للعبادات والمعاملات على حين أن التصوف هو علم المواجد القلبية ، والرياضات النفسية ، والاحكام الباطنية . وإذن فقد سمى الفقه بعلم الظاهر وسمى التصوف بعلم الباطن

ويظهرنا مؤلف « عوارف المعارف » بعد ماقدم على كيفية نشأة الشر وكيف أصبحت النفس مأوى لهذا الشر وكيف امتازت نفوس الأنبياء والاولياء على نفوس غيرهم. فذكر هذه القصة التى تتلخص فى ان الله بعث جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فلما أبت بعث عزرائيل فقبضها ، وكان ابليس قد وطىء الارض بقدميه فأصبح بعضها بين قدمين وبعضها الآخر بين موضع أقدامه . ومن هذه المواضع التى مستها أقدام ابليس خلقت النفس فصارت مأوى للشر . ولكن هناك جزءاً من الارض لم تصل اليه أقدام ابليس ومن هذا الجزء أصل الانبياء والأولياء . ولما كانت ذرة رسول الله موضع نظر الله من قبضة عزرائيل لم يمسسها قدم ابليس، ولهذا لم يصبها الجهل . وانما كان رسول الله على العكس موفور الحظ من العلم، والنور، ومن هنا بعثه الله تعالى بالعلم والهدى فانتقل هذا العلم من قلبه إلى القلوب . وانتقل هذا الهدى من نفسه الى النفوس . ومن هنا كانت العلاقة بين رسول الله وبين الذين دعاهم الى الأخذ بما بعثه الله به . وبعبارة أخرى كانت هذه العلاقة بنسبة طهارة الطينة . فمن كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كانت نفسه أكثر استعدادا لقبول ماجاء به رسول الله . وقلوب الصوفية أقرب مناسبة من هذه الناحية ، وهى لهذا قد ظفرت بحظ كبير من العلم فأصبحت بواطنهم اخاذات فعلموا وعلموا ، مثلهم فى ذلك كمثل الاخاذ الذى يسقى منه ويزرع منه. وهم بعد هذا ومن اجل هذا جمعوا بين فائدة علم الدراسة وفائدة علم الوراثة بأحكام أساس التقوى . ولما ان صقلت مرايا قلوبهم وصفت صفحات نفوسهم ظهرت لهم الأشياء على حقيقتها وما هيتها . فبانت لهم الدنيا بما فيها من قبح فأعرضوا عنها ، وبدت لهم الآخرة بما فيها من حسن فاقبلوا عليها .

وختم المؤلف هذا الباب بملاحظة لها قيمتها وخطرها فى فهم التصوف فهماصحيحاً مستقيما . هذه الملاحظة هى التى يظهرنا فيها على المعنى الذى تدل عليه لفظة الصوفى . فالصوفى عنده بمعنى المقرب . وهذه اللفظة لم يرد ذكرها فى القرآن ولكنها تركت ووضع مكانها لفظة مقرب . ولا يعرف فى بلاد الاسلام هذا الاسم لأهل القرب ، وانما يعرف للترسمين . فهناك نفر كبير من المقربين فى بلاد المغرب وتركستان وما وراء النهر لا يسمى باسم الصوفية لأن افراده لا يتزيون بزى الصوفية ، ومن هنا انتهى مؤلف « عوارف المعارف » الى أنه لا يقصد حين يتكلم عن الصوفية فى كتابه الا المقربين . وهناك ملاحظة ختامية أخرى ذكرها المؤلف فى نهاية هذا الباب، هذه الملاحظة لها قيمتها وخطرها أيضا إذ هى تظهرنا على الفرق بين الصوفى والمتصوف . فالمتصوف هو من تطلع الى مقام المقربين من جملة الابرار مالم يتحقق بحالهم . والصوفى هو من تطلع الى مقام المقربين حيث يتحقق بحالهم . وأما من هو دون المتصوف والصوفى ممن تميز بزى ونسب الى الصوفية أو المتصوفة فهو متشبه

ولنمض الآن الى الباب الثالث حيث يحدثنا السهروردى عن فضيلة علوم الصوفية والاشارة الى انموذج منها . ذكر المؤلف فى مستهل هذا الباب الحديث الشريف الذى امر فيه النبى صلى الله عليه وسلم بطلب العلم والذى جعل فيه طلب العلم فريضة على كل مسلم فقد قال رسول الله : « اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم ». ذكر بعد هذا الحديث الشريف آراء العلماء من المتقدمين

واختلافهم في هذه الاراء حول هذا العلم الذي امر رسول الله بتحصيله وجعل طلبه فريضة على كل مسلم . وقد اختلف القدماء اختلافا قويا حول هذا العلم ماذا عسى أن يكون . فمنهم من قال هو علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس . « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين » . ومنهم من قال هو معرفة الخواطر وتفصيلها . لأن هذه الخواطر هي مبدأ الفعل واصله ولا يمكن حدوث فعل اذا لم يسبقه خاطر . وذهب فريق الى انه علم الوقت . وانتهى فريق آخر ومنه سهل بن عبدالله الى انه علم الحال اى حكم حال العبد الذى بينه وبين الله تعالى فى دنياه وآخرته . ورأت طائفة انه علم الحلال او انه علم الباطن الذى يستفاد من مصاحبة العلماء الزاهدين والاولياء الصالحين . وطائفة اخرى انه علم البيع والشراء ، والنكاح والطلاق ، او انه علم التوحيد . وقد رأى أبو طالب المكى ان هذا العلم هو علم الفرائض الخمس التى بنى عليها الاسلام

تلك هى الآراء المختلفة التى رآها القدماء فى هذا العلم الذى طلبه فريضة على كل مسلم والتى استعرضها مؤلف (عوارف المعارف) فى شىء من الاسهاب كثير ، وانتهى من هذه الآراء كلها الى أنه أميل ما يكون الى رأى أبى طالب المكى ، والى رأى من قال بان العلم الواجب تحصيله على كل مسلم هو علم البيع والشراء ، والنكاح والطلاق ، اذا اراد الدخول فيه . ومن هنا يستخلص السهروردى ان العلم المقصود فى حديث رسول الله انما هو علم الامر والنهى . والمأمور فى علم الامر والنهى هو ما يثاب على فعله ، وما يعاقب على تركه . والنهى فى هذا العلم هو ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه . والنتيجة التى خرج بها المؤلف من هذا الكلام المستفيض هى ان علماء الصوفية عرفوا العلم المفترض على المسلمين فاقاموا دعائم علم الاوامر والنواهى بترسمهم خطى رسول الله فى الاستقامة ، مستعينين على اقامة هذا العلم وتدعمه بما منحوا من زهد فى الدنيا وحب للآخرة وصفاء فى السرائر ونقاء فى الضمائر ، والاستقامة التى رفع الصوفية لواءها وأنلوا ابناءها هى سبيل المجتهد الصادق ، والصوفية حين اكرمهم الله بالنهوض بواجب هذه الاستقامة رزقوا سائر العلوم كعلم الحال ، وعلم القيام ، وعلم الخواطر ، وعلم اليقين ، وعلم الاخلاص ، وعلم النفس ، واخلاقها وشهواتها وما الى غير ذلك من العلوم المتعددة التى ظفر بها الصوفية وحرمها غيرهم من علماء الدنيا . وهذه العلوم كلها ذوقية وجدانية يستعان فى تحصيلها بالذوق والوجدان .

وكم كنت احب ان اقف وقفة قصيرة عند اختلاف القدماء فى أمر هذا العلم المفترض ابين فيها مقدار حظ هذه الآراء من الصواب أو الخطأ . ولكن حسبى ان أوجز لك الآن ما اعتزمت إيجازه من ابواب الكتاب ايجازا يعطيك صورة مقاربة له ، على ان اتناول مناقشة بعض ما ورد فيه من آراء مناقشة نقدية سوف اعرض لها فى مقال ختامى .

وبعد ان عدد المؤلف انواع العلوم التى ظفر بها الصوفية . قارن بين علمى الوراثة والدراسة مقارنة تتلخص فى أن علوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة . مثلها فى ذلك كمثل الزبد الذى يستخرج من اللبن الخالص . فلو لم يكن لبن لم يكن زبد . ثم عرض السهروردى الى علوم الإسلام فقال ان للاسلام علوما هى علوم مبانيه . والاسلام بعد الايمان نظر الى مجرد التصديق : ولكن للايمان فروعا بعد التحقق بالاسلام . وهذه الفروع مراتب كعلم اليقين الذى يعطيه لنا الدليل . وعين اليقين وهو ما تعطيه المشاهدة ، وحق اليقين وهو ما حصل من العلم بما اريد به ذلك الشهود . وهذه قد تقال للتوحيد والمعرفة والمشاهدة . وللاسلام فى كل فرع من فروعه علوم ، وبالجملة فانك ترى أن علوم الاسلام هى علوم اللسان ، وان علوم الايمان هى علوم القلوب . ولعلوم القلوب هذه وصفان احدهما عام والآخر خاص . فاما الوصف العام فهو ان علم اليقين يتوصل اليه بالنظر والاستدلال . ومن هنا اشترك فى هذا الوصف كل من علماء الصوفية وغيرهم من علماء الدنيا . واما الوصف الخاص فهو هذه السكينة التى انزلها الله على قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا على ايمانهم . ومن هنا ترى ان علوم الصوفية اشتركت مع علوم غيرهم فى مرتبة اليقين ، وهى المرتبة الاولى ثم امتازت عليها بالمرتبتين الاخريين وهما مرتبة عين اليقين ومرتبة حق اليقين

ويقسم المؤلف الناس طبقات انقسموا اليها بالنسبة الى نفوسهم وقلوبهم وارواحهم . فمنهم من كانت نفسه ظاهرة على قلبه . وهذا الفريق يدعوه الله بالموعظة . ومنهم من كان قلبه ظاهرا على نفسه وهذا يدعوه الله بالحكمة . فاجاب الابرار الدعوة بالموعظة بذكر الجنة والنار . واجاب المقربون الدعوة بالحكمة وهى الدعوة بمنح القرب وصفو المعرفة . ولما وجدوا التلويحات بهذا القرب اجابوا بارواحهم وقلوبهم ونفوسهم . وهم حين يتابعون الاعمال يجيبون بقلوبهم . وحين يتحققون بالاحوال يجيبون بارواحهم . فانت ترى من هذا الفرق بين الصوفية وبين غير الصوفية . فهؤلاء يجيبون بالبعض وأولئك يجيبون بالكل . والصوفية حين يجيبون بالكل يتهيأ لهم بالعلم والمعرفة حظ لم يتهيأ لغيرهم . ومن هنا كانوا اقدر من غيرهم على الوصول الى اليقين الذى لا يحيطه شك . اليقين الذى يكشف لهم عن حقيقة الذات الالهية ويظهرهم على ماهية الاشياء . بحيث ينتهون من هذا كله الى الاتحاد مع الله والفناء فيه اتحادا يضمن لهم السعادة ، وفناء يكفل لهم السلام .

محمد مصطفى حلمى
ماجيستير فى الآداب

سيبويه المصري (١)

للاستاذ احمد أمين

شخصية غريبة كانت فى مصر فى عهد الدولة الاخشيدية قبل بناء القاهرة . وكان يدوى اسمها فى الفسطاط والقطائع وما بينهما قبيل مجيء الفاطميين. كانت شخصية ترهب وتحب، ويضحك منها، ويعتبر بها . ان شئت علما فعالم . أو شعراً فشاعر، أو أدباً فأديب، أو وعظاً فواعظ، أو فكاهة ففكه، أو نقدا مقذعا فناقد . أو جنوناً فمجنون

ولد بمصر سنة ٢٨٤هـ. وعاش أربعا وسبعين سنة وأتقن النحو حتى لقب بسيبويه

ألطف مافيه لوثة (لخسة) كانت بعقله . هى سر عظمته فقد جرأ على مالم يجرؤ عليه أحد فى عصره . كان معتزلياً يقف فى المسجد وفى الشارع فيصرح بآرائه فى الاعتزال، ويصيح بأن القرآن مخلوق فيقولون مجنون . ويتركونه يقول ماشاء حيث لا يقول أحد شيئاً من ذلك الا همساً أو من وراء حجاب، ويتعرض للناس بالقول اللاذع سواء فى ذلك كافور الاخشيد أو وزيره ، أو العلماء أو التجار . فيتضاحكون منه ويتقون لسانه ببره والاهداء اليه ، سراً وجهراً

كانت نوادره كثيرة ، تتلقفها الألسن ، ويتناقلها الرواة ، فتشيع فى الناس وتكون سلوتهم ومثار ضحكهم

وقديماً عرف المصريون بالفكاهة الحلوة والنادرة اللطيفة كما عرفوا بالأعجاب بها والجد فى طلبها والامعان فى الضحك منها

من أجل هذا ألف ابن زولاق المصرى كتابه اللطيف فى نوادر سيبويه . لم يذكر فيه الا قليلا عن علمه ولم يذكر شيئاً عن نحوه ولا عن جده . وانما ملأه كله بفكاهته ولوثته

حذا ابن زولاق هذا حذو مؤلفى العراق فى تدوين حوادث ظرفاء الممرورين . وابن زولاق نفسه يقول «لو كان سيبويه بالعراق لجمع كلامه، ونقلت ألفاظه، ولو عرف المصريون قدره جمعوا عنه أكثر مما حفظوه »

عرف منذ شب بهذه اللوثة ، تظهر فى حركاته ورمش عينه . وزادت بترديه فى بئر أمام بيته ، وتهيج أحياناً فيطرح ثيابه ويمشى عريان فى الطريق، على عورته خرقة، وعلى أكتافه خرقة، وبيده عصا ومصحف ويروح الى الجامع وهو على هذا الشكل يعظ ويتزهد. وأحياناً تهدأ ثائرته فينادم الأمراء والوزراء ويعجبون بلطفه وظرفه. وتقول زوجه انه انما كان يهيج اذا لم يأكل اللحم والدسم فاذا أكلهما هدأ

قلت ان لوثته سر عظمته ، فاذا هو هدأ سكت ولكنه اذا هاج أتى بالنوادر الطريفة والكلم السيار ، ولذلك قالوا فيه انه « اذا لم يكن له من يهيجه لم يخرج علمه »

سب مرة خازن الاخشيد أو وزير ماليته فاخذه «وعذبه ثم أطلقه وأجرى عليه الرزق فكان الصبيان أحياناً اذا رأوه يتصايحون « ياخازن اخرج عليه » فيهيج مابه وينطق بالقول اللطيف

كان يقول القول على سجيته لا يرهب أحداً ،قد أدخل مرة مستشفى المجاذيب ثم أخرجه كافور الاخشيد ، فلما مثل بين يديه قال له سيبويه « ماملك يصطنع بعشرين ألف دينار ولا بثلاثين ألفاً اذا كنت عادلا، فاما اذا كنت جائرا فأسود بعشرة دنانير يقوم مقامك »

وكان أكثر قوله سجعاً ، ومن ثم كان أكثر دورانا على الألسنة وأسهل حفظاً

لقى المحتسب وبين يديه أجراسه فقال« ماهذه الأجراس يا أنجاس ، والله ما ثم حق أقمتموه ، ولا سعر أصلحتموه ،

---

(١) لفت نظر الناس الاستاذ عنان الى كتاب فى دار الكتب لابن زولاق عن سيبويه المصرى بخط مؤلفه، وللكتاب قيمة كبيرة: فابن زولاق مؤرخ مصرى دقيق، قد عاصر سيبويه . وكتب عن مشاهدة وعيان وسيبويه شخصية تستحق التدقيق فيها والكتابة عنها كما سترى

فاثار كلام الاستاذ عنان الاديبين محمد ابراهيم سعد وحسين الديب وحملها على نقله وطبعه، فقاما بذلك. ولقيا فى نشره عناء شديدا لقدم النسخة الخطية ورداءة خطها وعدم اعجام الكثير من كلماتها فاستحقا بعملهما الثناء لولا ما وقعا فيه من أخطاء كان يمكن تجنبها لو اكثرا بطول الصبر و كثرة المراجعة

ولا جان دبتموه ، ولا ذو حسب وقرتموه ، وما هي إلا أجراس تسمع ، لباطل يوضع ، واقفاء تصفع ، وبراطيل تقطع ، لا حفظ الله من جعلك محتسباً ، ولا رحم لك ولا له أما ولا أبا »

وكان مخشى اللسان يهرب الوجهاء والاعيان اذا سمعوا صوته من بعيد، حتى لا يقذفهم بقذيفة من لذعاته تسير فى الناس ، وكان كافور يعجب كيف يسكت المصريون على سبه ويقول : سبحان من سلط سيبويه عليكم ينتقم منكم وما تقدرون على الانتصار »

وما السبب فى هذا الا أنه كان يعمد الى الرؤساء فيصب عليهم كلماته القارسة تصيب منهم مقتلا ، ويسر الشعب من هذا لأنه يعبر عما فى نفوسهم ، وينتقم من خصومهم ويجرؤ بجنونه على مالم يجرؤ عليه عقلاؤهم ، وكان يستطيع بلسانه أن يصل الى ما يتحرج من ذكره المتدينون — لقد كان يوما يؤاكل ابن المادرانى الوزير ، وعنـــده هارون العباسى فقدمت هريسة فقال هرون : أكثر منها يا سيبويه فانها تذهب بالوسواس من رأسك ، فكف سيبويه عن الطعام وأخذ يفكر، فقالوا فيم تفكر؟ قال أفكر فى امتناع ابليس من السجود لآدم ، والآن ظهر عذره — علم ابليس أن هـذا فى صلب آدم فلم يسجد له ، ولو عرض على كلاب اليهود أن تسجد لنسمة هذا فى ظهرها ما فعلت

ونحو هذا من انواع الهجاء القاسى

وهو مع هذا أديب ظريف له نظرات فى الادب جميلة يقول : ان أفضل الكلام ما اعتدلت مبانيه ، وعذبت معانيه ، واستسلس على ألسن ناطقيه ، ولم يستأذن على آذان سامعيه

وقد هجا بعض الناس شيخا من شيوخه فقال سيبويه

ما يضر البحر أمسى زاخرا   أن رمى فيه صبي بحجر

وسمع بيت المتنبي :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بد

فقال هذا كلام فاسد، لان الصداقة ضد العداوة ولو قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من مداراته بد

لكان أحسن وأجود

وبلغ المتنبي هذا النقد فذهب الى سيبويه وسمعه منه فتبسم وانصرف . فصاح سيبويه — انكم !—

ومع هذا فلما سمع قول المتنبي :

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى

رضوى على أيدى الأنام تسير الخ

صاح سيبويه لبيك لبيك ! أنا عبد هذه الايات

مما يدل على ذوق حسن ونقد صحيح وتقدير للادب

ولقد كان عالى النفس ، دقيق الحس ، يرى الناس كلهم دونه ، فلا يذل لعظيم ، ولا يهين لكبير ، طلبه أنوجور بن الأخشيد أمير مصر لينادمه ، فقال على شرط أن أنزل حيث تنزل ، وأركب حيث تركب ، وأجلس متكئاً ، فاجابه الى شرطه

وكان سيبويه يحدث عظيما فجاء خادم يسر حديثا الى هذا الجليس فسمع له وقطع الاستماع لسيبويه، فقام سيبويه مغضبا ، فسأله الى أين؟ قال لا تجالس من لا يرى مجالستك رفعة ، ولا تحدثن من لا يرى حديثك متعة ، ولا تسألن من لا تأمن منعه . ولا تأمرن من لا تأمن طوعه

ولما ماتت أم سيبويه حضر فى جنازتها كل كبير فى مصر الا ابن المادرانى الوزير ، وعاد والناس حوله ، فاخذ سيبويه يطلق لسانه فى هجاء ابن المادرانى ، وما نجاه من لسانه الا أن لقيه فى الطريق يأتى مسرعا ليدرك الجنازة

على الجملة كان سيبويه طرفة مصر فى عصره ، علما وأدباً وفكاهـة وجنونا — كان يقوم فيهـم مقام العالم والواعظ والأديب ، ومقام الجريدة السيارة الناقدة اللاذعة، وكان منظره بديعاً ، يدور فى الاسواق على حماره أو حمار غيره ، وما أكثر من كان يتقى لسانه بتقديم حماره !

فبحق قال « جوهر الصقلى » لما دخل مصر وذكرت له اخباره « لو أدركته لأهديته الى مولانا المعز فى جملة الهدية»

وبحق لما سمع به «فاتك» ممدوح المتنبي قال : ذكرونى به فلعلى أستدعيه فانه نزهة .

فى الأدب المصرى القـــديم

ملخص فصل من كتاب

(النيل والحضارة المصرية)

للأســـتاذ (آ. موريه)

— ٢ —

وهنا نجوى تبسط لنا شيئا من الحياة الزوجية ، يرددها زوج يبكى فقد امرأته ، وامرأته - كما يبدو - ما زالت روحها أتبع له من ظله . قال يناجيها :

« لماذا أشقيتنى حتى غلبت علىّ هذه التعاسة ؟ ما ذا صنعتُ حتى رفعتِ يدك علىّ دون أن أباديك بشىء ؟ سأرفع دعواى لآلهة المغرب التسعة ، حتى يفصلوا بيننا .

ما ذا صنعت ؟ كنت امرأتى حين كنتُ أخطر فى برد الشباب ما أزعجتك وما مستك بسوء . اذ كرينى عندما كنت عريفاً بين المحاربين فى جيش فرعون ، تركتهم لأجىء اليك . حاملا اليك منهم هدايا ثمينة ، وأنا لم أُخف عنك سراً طيلة حياتك ، ولم أدخل منزلا غير منزلك (بعد الطلاق) . وعندما رهنونى فى الموطن الذى أنا فيه الآن وجعلوا رجوعى اليك مستحيلا ، أرسلت اليك زيتى وخبزى وأثوابى ؛ ولم أبعث بها الى أحد سواك . وعندما مرضتِ جئتك بطبيب ، فوصف العلاج ، وأتى بكل ما قلت عنه : وعندما وجب على أن أرافق فرعون فى رحلته الى الجنوب لبثت أفكارى متوزعة عندك . وقضيت ثمانية شهور حليف الأسى لا يلذ لى طعام . ولا يسوغ لى شراب . وبعد وفاتك عدتُ الى ممفيس ، ورجوت من فرعون الذهاب الى بيتك ، وهناك وقفت باكياً . وأسعفنى أصحابى على البكاء ، وأعطيتهم ثياباً للف جثمانك .

واليوم وقد تعاقب ثلاثة أعوام وأنا قابع فى عزلتى ، ما دخلت منزل أحد ، ولا عرجت على أخت من الأخوات اللابثات فى البيت » .

ثم نشأت قصص صغيرة مشبعة بالروح الشعبية التى تجلت فيها ، أضف الى ذلك مقطوعات غزلية عاطفية ، تمثل لنا الحياة الوجدانية والعقلية للمصريين القدماء . ومن هذه القطع مقاطيع بعنوان (أغانى لغبطة القلب) وهى أغانى يجب أن تكون مصحوبة بآلات الطرب ، على أن الموسيقى المصرية ظلت مجهولة برغم آلاتها الشائعة عندهم . وجل هذه المقطوعات محاورات بين رجل يدعو المرأة (يا أختى) ، وامرأة تدعو الرجـــل (يا أخى) وكلاهما يتجاذب الأغاريد بلهجة جذابة رقيقة . وتلوح على هذه المقطوعات بعض ملامح مصرية وأخلاق مصرية تثبت ما قصه علينا المؤرخ هيرودوت إذ قال : « ان المصريات كن أحراراً فى مسالكهن وتصرفاتهن فى تجارة الحياة وفى مزدحم الأعياد الدينية ، وهن اللواتى كن يخرجن من بيوتهن لتدبير البيت والانفاق عليه . والرجال يقومون بالخدمة المنزلية خلال تغيبهن . وهذه القبور الطيبية (Thébains) تطلعنا على حياة المرح عندهن . وكثير من الحكايات الشعبية تدلنا على اخلاقهن وما اتسمن به من صفات الجرأة ، وهذه الجرأة قد تبدو فى هذه المقطوعة الغزلية . إذ نرى العاشق كالمتغانى . والعاشقة هى التى تتكلم :

يقص علينا العاشق هبوطه الى ضفاف النيل بجوار ممفيس . وهناك شاهد (اخته) فى حديقة طيبة الأريج ، « اذا هو لثم شفتيها كان نشوان بغير نبيذ » هو يدنو منها كالعصفور الذى ينقض بنفسه على الشرك (شرك الحب) . ولكن حميا الحب أقوى من حميا الخمر .

يقول العاشق : « نزلت المنحدر ، وأنا أحمل على كتفى حزمة قصب . وبلغت ممفيس وقلت (لباتا) سيد العدالة . أعطنى أُختى هذه الليلة ، فالنهر من خمر . (وباتا) قصبه . وسيكميت سدرته . (وأريت) يراعه . و (ينفرتوم) أزهاره .

هذا هو الفجر وممفيس كأس من ثمر ، مصفوفة امام الاله باتا ذى الوجه الجميل .

سأنام فى بيتى . وأغدو عليلا ، وسيهرع جيرانى الى عيادتى . واذ ذاك تجىء أختى معهم ، وتزرينى للاطباء لأنها عارفة بدائى .

ارى (اختى) مقبلة . وقلبى يستفزه الطرب وذراعاى تنبسطان لعناقها ، وقلبى يخفق فى موضعه عندما تجىء .

اذا عانقتها وفتحت لى ذراعيها ، فكأنى ألقيت بنفسى فى « بونت » مدينة الطيوب . واذا لثمت فاها وتفتحت لى شفتاها . فانا سعيد سكران بدون نبيذ

اما العاشقة فهى سهلة المأخذ ، تنطلى عليها الاساليب المغرية ، حبها الدقيق أدنى الى الندب والشكوى ، فى حالة الانتظار ، تبدى كل مظاهر الدلال ، وتقيس ذراعاً كلما قاس العاشق أصبعاً . وهذه (صائدة الطيور) لا تنصب الشباك لمجرد اللذائذ وانما تصبو من وراء الحب الى اتحاد الروحين بالزواج والى السهر على خيرات عاشقها كأنها صاحبة بيته .

تقول العاشقة :

« يا أخى المحبوب ! إن قلبى يسعى وراء حبك ، انظر ماذا اصنع !

قد نصبت فخى بيدى ، ان عصافير (بونت) هبطت على مصر مخالبها مفروكة بالصبر ، والعصفور الذى نزل — فى البد — قد التقط طعمى .

هو ناقل عطره من (بونت) ، ومخالبه مفعمة بالصبر الطيب .

أرغب منك أن تعمل على افلاته من الفخ ، حتى تصغى أنت الى انين هذا العصفور المطيب بالصبر .

ما أجمل وجودك معى عند ما أنصب الفخ !

الوزة (العاشق) تشكت عند ما علقت .

وذاك حبك يستهوينى اليك دون أن أستطيع الافلات منه . يجب على أن أهجر (حبائلى) . ولكن ماذا أقول لأمى عمن أغدو اليه كل يوم وأنا مثقلة بعصافيرى ! ! !

أنا سجينة حبك ! وقبلتك وحدها هى التى تحيى قلبى .

قد وجدت من أحبه ، فليت شعرى هل يقدر (آمون) على أن يعطينى اياه الى الأبد . . ؟

ياصديقى الجميل ! اود ان ارعى خيراتك كصاحبة بيتك : وذراعى مسندة الى ذراعك .

سأقول فى نفسى عند ما يعاودنى حبك : ان أخى الكبير بعيد عنى هذه الليلة .

ما اشبهنى بالاموات ، لانك أنت عافيتى وكل حياتى » .

وهذه عاشقة أخرى تلوم شاة أيقظتها عند الصباح وهى لا تود ان تستيقظ :

« ناجتنى الشاة قائلة لى : هذا هو الفجر فاستيقظى ، الا تهمين بالخروج ؟

لا لا ! يا شاتى : انت تسيئين الى !

قد وجدت أخى يتمطى فى سريره ، فطرب قلبى له وقال لى : لن أتركك أبداً ، وهذه يدى فى يدك ، سنطوف معا كل مكان يحسن فيه التنزه .

اتخذ منى خليلته الأولى . وهو لن يحمل أى هم الى قلبى . »

وبعدهذا الحب كله يضعف الهوى وتهب الشكوك ثم تتصاعد انات العاشقة لخيانة صاحبها إياها واستبداله غيرها بها ، فأصبح حب المرأة ادنى الى العاطفة وأغنى «هوى» من الحب الذى أعلنه الرجل بلسانه .

والشاعر يزين نفثاته بالاساليب الغزلية الرقيقة ، فالعاشقة تطوف فى حديقة غنية الازهار والاعشاب ، فما من نبتة أو ثمرة الا تذكر بشىء من محاسن المحبوبة او ترمز الى سعادتها المتلاشية . الاشجار تتكلم : فهى التى تؤوى الى افيائها العاشقين ، وتخفى عن العيون فصول غرامهم ، فهنا شجرة رمان تشكو وتتوعد من أهملها ، وهناك سدرة غرستها كف عاشقة تعلن رضاها عن القدر ، وهنالك جميزة صغيرة سعيدة بمواقف العاشقين تحتها . وهى تراقب الازواج بعين خبيثة ولكنها تكتم اسرارهم .

وثمت شىء من الشعر الذى يصف الوان الجمال النسائى . وهذه هى اهم صفات هذا الجمال المنشود « شعر حالك كالليل ، واسنان اسطع من لمعان الصوان ، وقامة رشيقة ، وصدر صلب طافح »

واذا قارنت هذا الجمال بما جاء فى تماثيلهم وصورهم عرفت أن المصريين قد أهملوا رقة الصور والاشكال فى الجمال ، فكانوا على نقيض الشرقيين المعاصرين الذين يحبون (الخط الاهيف فى الجمال الفتى) الذى يعدهم — فى العالم الثانى — بامرأة لهاشباب خالد .

وفى هذا الأثر الادبى الذى ابقى عليه الزمن ، نرى عمل المخيلة الصافية فيه مهملا ، وتعاليم الفن والعلم والأدب التى وضعت لخدمة الدين والدولة جاءت غنية الخطوط . طابعة الحضارة المصرية بطابعها .

أما مصر القديمة فلم تكن الا — فى القليل النادر — بلد البراعة المنزهة عن الغرض ، والتى جاءتها من أجل الفن . فعلمها للعلم المجرد ، وتفكيرها للتفكير المطلق ، وأدبها للادب النفسى ، واعمالها العظيمة المجهولة الاسم قد وضعها أربابها بدقة ومهارة فى سبيل خدمة مذهب فنى يسمو الى غايات اجتماعية ودينية . وهكذا ضيق الجمال المصرى باكرا ساحة الابداع على المبدعين القادرين ، ولكنه لم يهن ولم يقصر فى تحليل كل ما يقدمه الشعب ويجله من تعاليم السلطة والصلاح والادب . فكان أعظم ميزاته وأسمى سماته تمثيله — بالرموز — معنى النسل . وسهولة فهم مثله الاعلى الشريف ، وكل ذلك بأسلوب يستحيل التقليد فيه ، وعلاء يصعب السمو اليه .

خليل هنداوى

---

٦ ـــ بلاط الشـــهداء

بعد ألف ومائتى عام

للأستـــاذ محمد عبد الله عنان

« لما علم الفرنج وسكان بلاد الحدود الاسبانية بمقتل عثمان بن أبى نسعة وسمعوا بضخامة الجيش الاسلامى الذى سير اليهم، استعدوا للدفاع جهدهم وكتبوا الى جيرانهم يلتمسون الغوث. وجمع الكونت سيد هذه الانحاء (يريد أودو) قواته وسار للقاء العرب ووقعت بينهما معارك سجال. ولكن النصر كان الى جانب عبدالرحمن بوجه عام فاستولى تباعا على كل مدن الكونت. وكان جنده قد نفخ فيهم حسن طالعهم المستمر فلم يكونوا يرغبون الا فى خوض المعارك واثقين كل الثقة فى شجاعة قائدهم وبراعته

« وعبر المسلمون نهر الجارون وأحرقوا كل المدن الواقعة على ضفافه وخربوا جميع الضياع وسبوا جموعا لاتحصى؛ وانقض هذا الجيش على البلاد كالعاصفة المخربة فاجتاحها، واذكى اضطرام الجند نجاح غزواتهم واستمرار ظفرهم وما أصابوا من الغنائم.

« ولما عبر عبد الرحمن نهر الجارون اعترضه أمير هذه الانحاء، ولكنه هزمه ففر أمامه وامتنع بمدينته. فحاصرها المسلمون ولم يلبثوا أن اقتحموها وسحقوا بسيوفهم الماحقة كل شىء. ومات الكونت مدافعا عن مدينته واحتز الغزاة رأسه (١). ثم ساروا مثقلين بالغنائم فى طلب انتصارات أخرى، وارتجت بلاد الفرنج كلها رعبا لاقتراب جموع المسلمين، وهرع الفرنج الى ملكهم قلدوس فى طلب الغوث، وأخبروه بما يأتيه الفرسان المسلمون من العيث والسفك وكأنهم فى كل مكان، وكيف أنهم احتلوا واجتاحوا كل أقاليم أربونة وتولوشة وبردال (٢) وقتلوا الكونت. فهدأ الملك روعهم ووعدهم بالغوث العاجل. وفى سنة ١١٤ سار على رأس جموع لا تحصى للقاء المسلمين. وكان المسلمون قد اقتربوا عندئذ من مدينة تور، وهناك علم عبدالرحمن بأمر الجيش العظيم الذى سيلقى. وكان جيشه قد دب اليه الخلل لانه كان مثقلا بالغنائم من كل صوب. ورأى عبد الرحمن واولو الحزم من زملائه أن يحملوا الجند على ترك هذه الأثقال والاقتصار على أسلحتهم وخيولهم ولكنهم خشوا التمرد أو أن يثبطوا عزائم الجند واستسلموا لرأى الواثقين المستهترين. واعتمد عبد الرحمن على شجاعة جنده وحسن طالعه المستمر. ولكن الاضطراب خطر خالد على سلامة الجيوش. صحيح أن الجند يحملهم ظمأ الغنم أن يأتوا جهودا لم يسمع بها فطوقوا مدينة تور وقاتلوا حصونها بشدة رائعة حتى سقطت فى أيديهم أمام أعين الجيش القادم لانقاذها وانقض المسلمون على أهلها كالضوارى المفترسة وأمعنوا القتل فيهم. قالوا ولعل الله أراد أن يعاقب المسلمين على تلك الآثام. وكان طالعهم قد ولى ».

« وعلى ضفاف نهر « الأوار » (اللوار) اصطف رجال اللغتين والتقى المسلمون والنصارى وكلاهما جزع من الاخر، وكان عبد الرحمن ثقة منه بظفره المستمر هو البادىء بالهجوم فانقض بفرسانه على الفرنج بشدة وقابله الفرنج بالمثل. ودامت المعركة ذريعة مروعة طوال اليوم حتى جن الليل وفرق بين الجيشين. وفى اليوم التالى استؤنف القتال منذ الفجر بشدة، وشق بعض مقدمى المسلمين طريقهم الى صفوف العدو وتوغلوا فيها. ولكن عبد الرحمن لاحظ والمعركة فى أوج اضطرامها أن جماعة كبيرة من فرسانه غادرت الميدان بسرعة لحماية الغنائم المكدسة فى المعسكر العربى، لان العدو أخذ يهددها. فأحدثت هذه الحركة خللا فى صفوف المسلمين، وخشى عبد الرحمن عاقبة هذا الاضطراب فاخذ يثب من صف الى صف يحث جنوده على القتال، ولكنه ما لبث أن أدرك أنه يستحيل عليه ضبطهم. فارتد يحارب مع أشجع جنده حيثما استقرت المعركة، حتى سقط قتيلا مع جواده وقد أثخن طعانا. وهنا ساد الخلل فى الجيش الاسلامى وارتد المسلمون فى كل ناحية ولم يعاونهم على الانسحاب من تلك المعركة الهائلة سوى دخول الليل »

« واستفاد النصارى من هذا الظرف فطاردوا الجنود المنهزمة أياما عديدة، واضطر المسلمون أثناء انسحابهم أن يحتملوا عدة هجمات واستمر الصراع بين مناظر مروعة حتى اربونة ».

« وقد وقعت هذه الهزيمة الفادحة بالمسلمين وقتل قائدهم الشهير عبد الرحمن سنة ١١٥ هـ، ثم إن ملك فرنسا حاصر مدينة أربونة. ولكن المسلمين دافعوا عنها بشجاعة متناهية حتى أرغم على رفع الحصار وارتد الى داخل بلاده وقد أصابته خسائر كبيرة » (١)

وأورد المؤرخ كاردون من جهة أخرى فى كلامه عن الموقعة فقرة، ذكر أنه نقلها عن ابن خلكان جاء فيها: « لما استولى العرب على قرقشونة خشى قارله (كارل) أن يتوغلوا فى الفتح فسار لقتالهم فى الارض الكبيرة (فرنسا) فى جيش ضخم وعلم العرب

---

(١) وهذا خطأ بين لان الكونت اودو لم يقتل عندئذ بل فر الى الشمال وعاد لقتال عبد الرحمن فى تور كما قدمنا

(٢) مدينة بوردو

(١) كوندى فى الترجمة الانجليزية ج١ ص ١٠٨ – ١١١

بقدومه وهم فى لوذون (ليون) وان جيشه يفوقهم بكثرة، فعولوا على الارتداد . وسار قارله حتى سهل أنيسون دون أن يلقى أحدا ، اذ احتجب العرب وراء الجبال وامتنعوا بها ، فطوق هذه الجبال دون أن يدرى العرب ثم قاتلهم حتى هلك عدد عظيم منهم وفر الباقون الى أربونة . فحاصر قارله أربونة مدة ولم يستطع فتحها فارتد الى أراضيه وأنشأ قلعة وادى رذونه (الرون) ووضع فيها حامية قوية لتكون حدا بينه وبين العرب » (١)

ونعود بعد ذلك الى الرواية الاسلامية فنقول ان المؤرخين المسلمين يمرون على حوادث هذه الموقعة الشهيرة اما بالصمت أو الاشارة الموجزة . ويجب أن نعلم بادىء بدء أن موقعة تور تعرف فى التاريخ الاسلامى بواقعة البلاط أو بلاط الشهداء لكثرة من استشهد فيها من أكابر المسلمين والتابعين . وفى هذه التسمية ذاتها ، وفى تحفظ الرواية الاسلامية ، وفى لهجة العبارات القليلة التى ذكرت بها الموقعة ، ما يدل على أن المؤرخين المسلمين يقدرون خطورة هذا اللقاء الحاسم بين الاسلام والنصرانية ، ويقدرون فداحة الخطب الذى نزل بالاسلام فى سهول تور . ويدل على لون الموقعة الدينى ما تردده الاسطورة الاسلامية من أن الاذان لبث عصورا طويلة يسمع فى بلاط الشهداء (٢) ونستطيع أن نحمل تحفظ المؤرخين المسلمين فى هذا المقام على أنهم لم يروا أن يبسطوا القول فى مصاب جلل نزل بالاسلام ولا أن يفيضوا فى تفاصيله المؤلمة ، فاكتفوا بالاشارة الموجزة اليه ، ولم يكن ثمة مجال للتعليق أيضا ، ولا التحدث عن نتائج خطب لا ريب أنه كان ضربة للاسلام ولمطامع الخلافة ومشاريعها . واذا استثنينا بعض الروايات الاندلسية التى كتبت عن الموقعة فى عصر متأخر ، والتى نقلناها فيما تقدم فان المؤرخين المسلمين يتفقون جميعا فى هذا الصمت والتحفظ . وهذه طائفة من أقوالهم واشاراتهم الموجزة :

قال ابن عبد الحكم وهو من أقدم رواة الفتوح الاسلامية واقرب من كتب عن فتوح الاندلس ما يأتى : —

(يتبع)



(١) راجع — — Cardonn ; ibid : V.I 129 — 131 وقد بحثنا طويلا فى كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان فى مظان وجود هذه التفاصيل فلم نعثر عليها . ولعل كاردون وقد كتب فى اواسط القرن الثامن عشر واستعان بمخطوطات عربية فى المكتبة الملكية فى باريس قد نقل عن نسخة لابن خلكان فيها زيادات عن النسخة التى بين أيدينا ، ولسنا نعلم من جهة أخرى أن لابن خلكان مؤلفا تاريخيا آخر يمكن أن يحتوى مثل هذه التفاصيل .

(٢) المقرى عن ابن حيان (ج ٢ ص ٥٦)



نابغة من شعراء مصر

الخشاب الشاعر

للأستاذ محمد كامل حجاج

هذا النابغة الذى سأحدثك عنه كان ثانى النيرين وأحد الفرقدين فى عصره اذ لم يكن لهما ثالث يجاريهما فى حلبة القريض، أو يدانيهما فى مضمار الأدب. ولقد خان الحظ شاعرنا فى عصرنا هذا حتى أصبح نسيا منسيا لدى الجمهور ولو أنه معروف بين الخاصة من الطبقة الراقية فى الأدب. ولقد جنت عليه المطابع المصرية اذ لم تنشر ديوانه، وطبعته مطبعة الجوائب بالاستانة مع مجموعة كبيرة أصبحت نادرة جدا.

خدم الحظ البهاء زهير فطبع ديوانه فى أوربا ومصر عدة طبعات بيع بعضها بقرشين حتى انتشر وحفظ منه الفقهاء والمنشدون والمغنون كثيرا وغنوه فى الحفلات حتى شاع وملأ الأصقاع مع أنه لا يذكر بجانب شاعرنا المترجم به

وكان ثانى النيرين العالم العلامة والشاعر المجيد الذى ضرب بسهم فى مختلف العلوم والفنون الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر. وقد ارتحل عن مصر وقت هجوم الفرنسيين عليها وتجول بين ربوع الشام واشقودره، ولما آب من رحلته مازج المترجم به وخالطه، ورافقه ووافقه، فكانا كثيرا ما يبيتان معا ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر، وكثيرا ما كانا يتنادمان فى دار صديقهما الحميم الوفى الشيخ الجبرتى ويطرحان التكلف ثم يتجاذبان أطراف الكلام فيجولان فى كل فن جولة، وكانت تجرى بينهما منادمات أرق من زهر الرياض، وافتك بالعقول من الحدق المراض، وهما حينئذ فريدا عصرهما، ووحيدا مصرهما لم يعززا بثالث فى ذاك الوقت

كان والد المترجم به نجارا ولما راجت صناعته فتح مخزنا لبيع الاخشاب بجانب تكية الكلشنى بالقرب من باب زويلة، وارسل ابنه الى الكتاب لحفظ القرآن. ثم طمحت نفسه الى طلب العلم فذهب الى الازهر ولازم حضور السيد على المقدسى وغيره من أفاضل الوقت فانجب فى فقه الشافعية والمعقول بقدر الحاجة، وشغف بمطالعة الادب والتاريخ والتصوف حتى أصبح نادرة عصره فى المحاضرات والمحاورات واستحضار المناسبات.

ولدماثة أخلاقه، ولطف سجاياه، وكرم شمائله، وخفة روحه صحبه كثير من أرباب المظاهر والرؤساء والكتاب والامراء وكبار التجار

يقول لنا الجبرتى إن شاعرنا السيد الشريف أبا الحسن اسماعيل ابن سعد بن اسماعيل الوهبى الحسينى الشافعى كانت له قوة استحضار فى ابداء المناسبات حسبما تقتضيه حال المجلس، فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور ويأسر لبه بلطف سمره ومنادمته الجذابة الخلابة

ولما دخل الفرنسيون مصر عين المترجم له محررا لتاريخ حوادث الديوان وقرر له الجنرال جاك منو فى كل شهر سبعة الاف نصف فضة

علق المترجم به شابا من رؤساء كتاب الفرنسيين وكان جميل الصورة لطيف الطبع عالما ببعض العلوم العربية ويحفظ كثيرا من الشعر، فلتلك المجانسة فى الميول، مال كل منهما الى الآخر حتى كان لا يقدر احدهما على مفارقة صاحبه، فكان المترجم له تارة يذهب الى داره وطورا يزوره هو ويقع بينهما من لطيف المحاورة ما يتعجب منه، وهو الذى نفح الشاعر بهذه النفحات العظيمة والغزل الفائق

ولم يزل المترجم به على حالته ورقته ولطافته مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة والولع بمعالى الامور والتكسب وكثرة الانفاق، وسكنى الدور الواسعة، وكان له صديق يسمى أحمد العطار بباب الفتوح توفى فتزوج شاعرنا امرأته وهى نصف، واقام معها نحو ثلاثين سنة ولها ولد صغير من زوجها المتوفى فتبناه ورباه ورفهه بالملابس وأشفق عليه اشفاق والد بولده، ولما ترعرع زوجه واقام له مهرجانا فخما، وبعد سنة من زواجه مرض اشهرا انفق فيها كثيرا من المال عليه، ثم قضى الغلام نحبه فجزع عليه جزعا شديدا وأقام له مأتما عظيما، واختارت امه دفنه بجامع الكردى

بالحسينية ورتبت له رواتب وقراء واتخذت مسكنا ملاصقا للقبر واقامت به نحو الثلاثين سنة، وهي مداومة على عمل الشريك والكعك بالعجمية والسكر وطبخ الاطعمة للمقرئين والزائرين كل جمعة على الدوام، وشاعرنا طوع امرها في كل ماطلبته. وكان كل ماوصل إليه من مال أو كسب ينفقه عليها وعلى اقاربها وخدمها لا لذة له في ذلك حسية ولا معنوية. لانها في ذاتها عجوز شوهاء وهو نحيف ضعيف الحركة جدا. ومرض بحصر البول مع الحرقة والألم وطال عليه حتى لزم الفراش اياما. ثم توفى في يوم السبت ثاني الحجة سنة ١٢٣٠ بمنزله الذي استأجره بدرب قرمز، وصلى عليه في الأزهر في مشهد حافل ودفن عند ابنه المذكور بجامع الكردي

وقد اهتم الشيخ حسن العطار بجمع ديوان الخشاب في حياته سنة ١٢٢٧ لاعجابه الشديد برقته وبلاغته وسمو خياله، اى قبل موته بثلاث سنين، ويؤيد ذلك التاريخ الذي وضعه ناسخ الديوان محمد صالح الفضالي الواقفي المصرى إذ انتهى من نسخه في يوم الاحد ١١ شوال سنة ١٢٢٧. وقد عاش المترجم بعد جمع ديوانه ثلاث سنين، ولا يبعد انه نظم فيها شيئا ليس بالقليل، ولأنه لم يترك عقبا امتدت يد الشتات الى نظمه الأخير.

لا نعرف بالضبط التاريخ الذي بدأ فيه بمعالجة القريض. وأقدم تاريخ في ديوانه سنة ١٢٠١ يؤرخ به ميلاد ابن أبي الأنوار السادات، ومن ذلك يعلم انه مكث يقرض الشعر أكثر من ثلاثين سنة

طرق الشاعر عدة أنواع من الشعر وهي الغزل والخمريات والمدح والرثاء والتهاني والوصف والموشحات والادوار. وان القينا نظرة عامة في شعره وجدناه صادق الوصف منسجم السياق رشيق الاسلوب يحسن اختيار الالفاظ، موسيقي الاوزان، خفيف الروح فخم التراكيب، مسلسل المعاني متصلها، ولم نر في جميع ديوانه شيئا من الهجو، وهذا مما يدل على سمو أخلاقه.

ولغزله المكانة الأولى ولاسيما ماقاله في صديقه الفرنسى الذى سبق الكلام عنه، فانه يتأجج بعنيف العواطف والصراحة في القول ورقة التعبير ورشاقة الوصف. ومن أرق قوله فيه:

أدرها على زهر الكواكب والزهر
واشراق ضوء البدر في صفحة النهر
وهات على نغم المثاني فعاطنى
على خدك المحمر حمراء كالجمر
وموه لجين الكأس من ذهب الطـــلا
وخضب بناني من سنا الراح بالتبر
وهاك عقوداً من لآلى حبابها
فم الكأس عنها قد تبسم بالبشر

الى أن قال في آخر القصيدة.

وفوق سنا ذاك الجبين غياهب
من الشعر تبدو دونها طلعة البدر
ولما وقفنا للوداع عشيـــة
وأمسى بروحي حين جد السرى يسرى
تباكى لتوديعي فابدى شقائقا
مكللة من لؤلؤ الطل بالقطر

وقال فيه أيضاً:

علقته لؤلؤى الثغر باسمـــه
فيه خلعت عذارى بل حلا نسكى
ملكته الروح طوعا ثم قلت له
متى ازد يارك لى أفديك من ملك
فقال لى وحميا الراح قد عقلت
لسانه وهو يثنى الجيد من ضحك:
اذا غزا الفجر جيش الليل وانهزمت
منه عساكر ذاك الأسود الحلك
فجاءنى وجبين الصبح مشرقة
عليه من شغف آثار معترك
في حـــلة من أديم الليل رصعها
بمثل أنجمه في قبة الفـــلك
فخلت بدرا به حفت نجوم دجى
في حندس من ظلام الليل محتبك
وافى وولى بعقل غير مختبل
من الشراب وستر غير منهتك

ومن أروع ماقال فيه موشحه الذى عارض فيه موشح الشيخ حسن العطار الذى مطلعه:

أما فؤادى فعنك ما انتقلا
فلم تخيرت في الهوى بدلا (فاعجب)

وهذا الموشح الذى يسيل رقة ورشاقة مخمس ومرفل قال رحمه الله.

يهتز كالغصن ماس معتدلا اطلع بدرا عليه قد سدلا (غيهب)
ريم يصيد الاسود بالدعج
يسطو بسيف اللحاظ في المهج
يزهو لعيني بمظهر بهج
فكيف أبغي بحبه بدلا وليس لى عنه جار او عدلا (مهرب)

وضاح نور الجبين أبلجه
وردى خد زها توهجه
اليه شوق يزيد لاعج
فلست أصغى لعاذل عذلا وعنه والله لا أتوب ولا (أرغب)
المى شهى الرضاب واللعس
يزرى غصون الرياض بالميس
يختطف اللب خطف مختلس
لو يحمل الخصر تبتغى أسلا من رام يوماً اليه أن يصلا (يحجب)
قطع قلبى بحبه اربا
وصد عنى فلم أنل اربا
أواه أواه منه واحربا!
أصلى فؤادى بخده وقلا وذبت وجداً به ولى قتلا (فاعجب)
بجوهر الثغر يلفظ الدررا
يدمى فؤادى وخده نظرا
علم عينى البكاء والسهرا
فانهل دمعى كالوبل وانهملا بالدم خدى عندما هطلا (خضب)
مولاى رفقا بصبك الدنف
قد كدت اقضى عليك من اسف
تلاف روحى فقد دنا تلفى
من ريقك العذب ابرء فى انتهلا وهات كأسى وطف بها ثملا (واشرب)
راحا سناها يضىء كاللهب
تبسم عن رطب لؤلؤ الحبب
عطر مازج ثغرك الشنب
بين رياض ومسمع غزلا على المثانى اذا شدا رملا (اطرب)
والورق من حسن صوتها الغرد
تميل قضب الرياض بالميد
وتوج الدوح لؤلؤ البرد
تاجا من الدر نظمه كملا فكن من اللهو سالكا سبلا (وادأب)
ومن درر نظمه خمريته:

ادر السلاف على صدى الالحان	ودع العذول بجهله يلحانى
واستجل بكر الراح فى ظل الربى	بين الرياض تزف والعيدان
شمس لها من فوق خد مدبرها	شفق الصباح اذا بدا الفجران
نور ولكن من سنا لألائها	فى الخد نار فؤادها الولهان
نار لها فى وجنتيه وكفه	لهب به اعشو الى النيران
من كف معتدل القوام كأنه	قمر يلوح على غصين البان
نشوان من سكر الشباب يهزه	من خمر فيه وراحه سكران
ومهفهف ماء الحياء بوجهه	يزرى بهى شقائق النعمان

الى أن قال:

ليث العرين له تلفت جؤذر	يفتر عن در على مرجان
متلالىء تحت الشعور جبينه	كحسامه فى غيهب الميدان
عربى لفظ اعجمى المنتمى	هندى لحظ صائل بيمان
غصب النجوم فصاغهن اسنة	وبفيه نظمها عقود جمان

والقصيدة طويلة والجزء الغزلى فيها يرجع الى صديقه الفرنسى.

ومن الطف قوله قصيدته التى يمدح بها السادات

بوصالك واضحة الجبين المسفر	من بعد طول تمنع وتستر
قامت فخالست ازديارك قومها	وتربصت سحرا هجوع السمر
واتت ترنح كالغصين اماله	نفس الصبا وتجر فضل المئزر
هيفاء يخجل لحظها وقوامها	بيض الصفاح وكل لدن أسمر
ما أنس لا انسى ليالى وصلها	بين الرياض وحسن نغم المزهر

الى أن قال:

من سادة ورثوا النبى وجاهدوا	فى دينه حق الجهاد الاكبر
من خير بيت من ذؤابة هاشم	من معشر أكرم به من معشر

والقصيدة طويلة.

ومن أروع شعره قصيدة فقد مسودتها وراجعه فيها الشيخ حسن العطار فذكر له منها أحد عشر بيتا من وسطها ونسى الشاعر مطلعها وآخرها:

ولرب ليل قد أبيت بجنحه	أطوى هضاب فدافد ووهاد
بأغر أجرد ضامر لكنه	جلد العزائم عند كل جلاد
متعودا وطء الاسنة فى الوغى	متجشما فى الروع هول طراد

ظن السيوف جداولا وعوامل المران أغصان النقا المياد

الى أن قال

متقلدا عوض السيوف عزائمى	متسربلا بدل الدروع فؤادى
حتى بلغت أخا السماحة والندى	وابن السراة السادة الاجواد

لقد فات الجبرتى أن يخبرنا عن ارتباط شاعرنا بعصر المماليك قبل دخول الفرنسيين وفترة الاربع سنين التى تولى الحكم فيها ولاة الاتراك، والعصر الذى عاشه فى عهد ساكن الجنان محمد على باشا

وللمترجم له من النثر بعض مراسلات وتقاريظ مسجعة كعادة أهل عصره رحمه الله رحمة واسعة وألهم المصريين تخليد ذكره وإعلاء شأنه ؟

مِنْ طرائفُ الشِّعرُ

غـــرام الشـــعراء

الغـــيرة

للشاعر الوجدانى الاستاذ احمد رامى

من رواية ينظمها بهذا العنوان فى هذا الموضوع

« فى دار الولادة بنت المستكفى بقرطبـة . الشاعر أبو الوليد احمد بن زيدون يزورالدار أول مرة فى صحبةصديقه أبى حفص بن برد . بعـد التعـارف والتفاهم تحتفل الولادة بقدوم ابن زيدون فتدعو القيان . بعدالرقص والعزف يقبل الوزير ابن عبدوس فى رفقة نديمه خليفة لزيارةالولادةجريا على عادته »

ابن عبدوس : وقدسمعآخرالغناءمخاطباخليفة

مطـــبل وزامر فمن يكون الزائر ؟

خليفـــة : أحسبهـــا توقعت حضـــورنا نسامر

وهـــذه تحيـــة ترسـلها المزاهر

أدخلفقدطابالهوى بما يحب الخـاطر

ابن عبدوس : (وقد اجتاز الباب ورأى ابن زيدون)

من أرى ؟

الولادة : (متقدمةاليه)

هذا ابن زيدون

ابن عبدوس : وما لى أراهشارد اللب حزين !

قـــد عرفناه طروباً ينثنى

مرحاً عنـــد سماع العـازفين

ابن زيدون : (فى لهجة حازمة)

وأرانى ربمـــا أحـــزننى

من صدى الاوتارشدوٌ أو رنين

ابن عبدوس : (فى شىء من السخرية)

هـــذه حال الذى أودى به

لاعج الأشواق أو مسُّ الجنون

ابن زيدون : نعم أهوى ولا أخفى غرامى

ومن شرف الهوى أنى صريح

وأما ان سئلت من اصطفتى

سكتُّ فما استرحت وما أريح

ابن عبدوس : ومن لك أن تقول صفا هواها

وقلب الغانيات مدى فسيح

ابن زيدون : وغرّك من عهد ولاّدة

سراب تراءى وبرق ومض

أراك تفوّق سهم النضال

وترسلها لو أصبت الغرض !

ولاّدة : وما هذا التراشق بالأحاجى

وما هذا التوثب للهجوم ؟

أرى عينيكما رمتا شرارا

وأخشى النار ترعى فى الهشيم !

(بعد صمت)

ألم يجمعكما سبب متـــين

على حفظ المودة والأخاء ؟

ابن زيدون : وألّفنا على الاخلاص عرشاً

نفدّيه ونخلص فى الفداء

ابن عبدوس : وهل أخلصت للعرش المفدى

وقمت على الرعاية والولاء ؟

وأنت العمرَ تقضيه هباء

صريع الكاس أو خِلب النساء

ابن زيدون : خسئت فان لى القِدح المعلى

اذا خفّ الرجال الى العلاء

تأسس ملك قرطبة وقامت

دعائمه وكانت من بنائى

وناولت ابن جهور صولجانا

على جنباته تجرى دمائى

ابن عبدوس : ومن يبن الممالك لايبالى

بهدم العرش أو هدّ اللواء

ولادة : كفى ما قلتماه فان دارى

مراح الشعر أو مغدى الغناء

تباعد نازلوها عن حوار

يجرّ الى القطيعة والعداء

ومالى والسياسة وهى بحر
أبىّ الموج مربدّ السماء
طغت أنواؤه فهوت بأهلى
وطاحت بالرفاق الأوفياء
(بعد صمت)
يا خليلىّ أما كان لنا
مندحة عن ذلك القول الهراء!
ابن زيدون : قد تحدّانى
ولادة : وماذا قال لك ؟
ابن زيدون : قال انى أصرف العمر هباء
ابن عبدوس : بل تصدّى لى
ولادة : وماذا قال لك ؟
ابن عبدوس : قال يغوينى سراب فى سماء
ولادة : وهل الدنيا سوى أخيلة
من ظلام اليأس أو نور الرجاء
وهل الأيام الاّ ساعة
ينعم القلب بها حيث يشاء
خليانا م الذى فات ولا
تذكرا الماضى إذا الماضى أساء
وصلا حبل التصافى واعلما
أن هذى الدار نادى الاصفياء
ابن زيدون : (فى لهجة المعاتب)
درجنا مع الودّ منذ الصبى
وكانت رباه لنا ملعباً
وألفنا أمنيات الشباب
زهت كوكباً وسمت مطلباً
ومرت بنا عاديات الزمان
فكنا على غدره قرّبا
ابن عبدوس : ومالك أنكرت منى الوفاء
وقد ذقته صافياً طيباً ؟
ولادة : حنانيكما لاتطيلا الملام
ولا تسألا القلب من أذنبا
بدت جفوة بين نفسيكما
ومرّت كلمح شهاب خبا
وما أجمل الود بعد العتاب
وأبقى الصديق اذا اعتبا !
(تدخل عتبة وصيفة الولادة)
عتبة : سيدتى !
ولادة : ماذا جرى ؟
عتبة : رسول
ولادة : لمن ؟ وممن ذلك الرسول ؟
عتبة : من صاحب الأمر الى الوزير
ولادة : (فى حيرة) أى الوزيرين عنى الأمير ؟
ومن يكون حامل الرسالة ؟
عتبة : المكرّىّ حاكم المدينة .
ابن عبدوس : (فى لهجة المتشفى)
أحسبنى أمنيّة ابن جهوَر
أتأذنين لى بلقيا المكرى ؟
يا خليفة !
خليفة : أنا يا مولاى ما بين يديك
ابن عبدوس : عد الى الدار سريعاً ربما احتجت اليك
(ينصرف خليفة فى شىء من اللؤم)
إغفرى لى أنى أسأت اليكم
بحضورى فُجاءةً وذهابى
نازعتنى اليك نفسى فأقبلت
على خلوة من الأحباب
لم أكد اقرأ التحية حتى
نالنى منكم رشاش السباب
(ينصرف ابن عبدوس غاضباً)
ابن زيدون : هل تبيّنت كيف نمت عليه
نظرة الحقد فى العيون الغضاب
وسمعت الذى يعبر عما
ينطوى فى ضميره المرتاب
شهر الحرب عامداً وتصدى
يرسل اللوم فى سياق العتاب
ثم ولىّ يقول نحن بدأنا
ه ولم نرع حرمة الآداب

يوم التـــل

للأديب فخرى أبو السعود

...... وبعد فانى مرسل اليكم قصيدة نظمتها لمناسبة ذكرى الاحتلال الأنجليزى الذى يصدر عدد الرسالة القادم فى مثل يوم ابتدائه بالقاهرة — ١٥ سبتمبر — وقد اعتاد الكثير من المصريين الاستحياء لذكرى يوم التـــل الكبير لأن الهزيمة أصابتنا فيه، والأسف لذكرى الثورة العرابية لأن الاحتلال الانجليزى أعقبها، حتى قال شوقى بك فى بعض ما قال:

ولوان يوم التل يوم صالح ... لحماسة لجعلته إليادى

وقد نظمت قصيدتى قصد القضاء على توهم العار فى هذه الذكريات، وإبراز مواضع الفخر فى تلك الحوادث والوقائع.

وأقل ما فى تلك الذكريات من مواضع الفخار أن الثورة كانت أول مظهر صحيح للقومية المصرية التى تنبهت فى العصر الحديث، وأن موقعة التل كانت أول معركة قام فيها جيش مصرى صميم بالدفاع عن أرض مصر، وان المصريين فيها كانوا ينازلون أكبر قوة استعمارية عرفها التاريخ، وأن الانجليز لم يطمئنوا الى منازلة المصريين ولم يحرزوا عليهم النصر الا بعد أن استعانوا بكل حيلة

....

أعد ذكر ماضى النيل للجيل منشدا ... فما أعذب المجد الأثيل مرددا
وكم مفخر للنيل باق مخـــلد ... اذا ذكر الأقوام فخرا مخلدا
نتيه بماضينا القـديم تفاخراً ... وأحر بأن يروى الحديث فيحمدا
ولم أر يوم التل عابا وسبة ... ولم أره الا أغر ممجـــدا
أنخجل ان قمنا نذود عن الحمى ... ويسحب أذيال الفخار من اعتدى؟
تدفق من عبر المحيط مهدداً ... فما حفلت آباؤنا من تهددا
أبوا أن يدينوا للمغالب عن يد ... وتلقى مصر فى الحوادث مقودا
وقالوا شباة السيف دون عدونا ... وإن يك عرض البر والبحر أيدا
إباء تليد المجد قر له رضى ... وقر له عظم الفراعين ملحدا
وما شهدوا من قبلها بعد عهدهم ... بنى مصر جمعا ينهدون الى العدى

....

فلما رأى العادى سنوح فريسة ... أقام زماناً دونها مترصدا
ترامت على الثغر الأمين رجومه ... تناصب عزلا فى المدينة قعدا
أثار عليهم مائج البحر مرغياً ... وصب عليهم مارج النار مرعدا
تهاوى له الانقاض أيان يرتمى ... وتنثر الاشلاء فى حيث سددا
تمازج لونا النار والدم عندها ... وفار لهيب النار بالدم مزبدا
ولم يألها حتى كساها غلائلا ... من النار حمراً فى السموات صعدا
ولم يثنه فى الشرق والغرب ضجة ... لأمر أقام الارض هولا وأقعدا
منى نالها! فلتندب الأرض حسرة ... على العدل ولتبك السماء تلددا
رأت أمم فى الشرق والغرب أمة ... يجار عليها جهرة وتعمدا
تعاقب أن قامت تحطم قيدها ... وتبعث تاريخا قديما وسؤددا
وتوأد حرياتها وحقوقها ... ليحكم الاستعمار فيها معربدا

....

ولما أحال الثغر جمرا مخربا ... تقدم يبغى مستزادا ومهتـــدى
فأبصر من دون السبيل بواسلا ... جثيا على هام المسالك رقدا
تصدى اليهم كرة بعد كرة ... فأصلوه نيرانا فآب مبددا
فيامن رأى أبناء مصر اذا انبروا ... الى غول الاستعمار صفا مجردا
على حين ماجت خيله وسفينه ... ولم يبصروا فى الشرق والغرب مسعدا
يساقونه كأس الحمام وأهله ... بمصر كرام فى مراح ومغتدى
فلما رأى وعر الطريق ولم يجد ... كما ظن نهجا حيث سار معبدا
تسلل من شرق البلاد محاذرا ... هزيمته فى الغرب أن تتجددا (١)
ومال الى الأعراب والختل طبعهم ... يريد لدى القوم اللصوص مؤيدا
جرى تبره فيهم وسالت سفينه ... تمزق عهداً للقناة مؤكـــدا
وساق على الاحرار بالتل سفلة ... أتى بهم من كل فج وأعبدا
خميس يسير العار فى خطواته ... وتتبعه الأوباء فى حيثما اهتدى (٢)
كفته خيانات اللئام عدوه ... وما بث من جند الفساد وأرصدا
ولولا جنود الأثم تدفع دونه ... لما مد رجلا للقتال ولا يدا
كذلك كانت فى السياسة حاله ... وفى الحرب لم يبلغ به النبل مقصدا
وما نال إلا بالجريمة مغنما ... ولا سل إلا فى الظلام مهندا
وأقبل يزهو بانتصار وإنه ... لخزى له يبقى على الدهر سرمدا
خصيمك أنقى فى الهزيمة صفحة ... وأكرم فى ظلم الحوادث محتدا!
وزاد عروس الشرق فى تاج ملكه ... يتيه بها فخراً ويخطر سيدا
رويدك لا تحمد مقامك بيننا ... ولا تحسبنه ما أقمت ممهدا!
كما جئت فى داج من النحس قاتم ... سترجع فى داج يغشيك أسودا!
وأنحى على الأحرار يسكب مقته ... وقد كاد يسقيهم بجهلته الردى
ومن أحرق العذراء يوما تشفياً ... فليس بمستثن مسناً وأمردا (٣)
فأرهق بعضاً فى السجون مكبلا ... وفرق بعضاً فى البلاد مشردا

....

سلام وريحان أبوتنا على ... ثراكم سلاما ما يزال مجددا
سلام على من قد تصلوا بنارها ... وخاضوا لظاها فائراً متوقدا
سلام على من مات فى حومة الوغى ... ومن مات فى قاص من الأرض مبعدا
سلام على قيل تولى زمامها ... أعف الورى قصداً وأنقاهم يدا
أصاب بها نجحا فلما كبا بها ... وأدركه منها العثار تجلدا
وذيد عن الأوطان عشرين حجة ... يبيت على شوق إليها مسهدا
جريرته أن رام مصر عزيزة ... وشاء لها أن تستقل وتسعدا
ورام لها من طغمة الترك معتقا ... وبعداً لعهد الترك أشأم أنكدا
لتحيا كما تحيا الشعوب طليقة ... بمصر يعاف العبد فيه التقيدا
ستذكره مصر الفتية ما ابتغت ... لدى الحق عهداً أو لدى المجد موعدا
عسى ذكرنا رغم الهزيمة أحمدا ... سيبعث فينا للغنيمة أحمدا

---

(١) اشارة الى هزيمة الانجليز أمام المصريين قرب رشيد غربى الدلتا سنه ١٨٠٧

(٢) تفشت الاوباء فى مصر عقب دخول الجيش الانجليزى

(٣) اشارة الى احراق الانجليز جان دارك محررة فرنسا من نيرهم



من الأدب التركى الحديث

احمد حكمت بك

كان الأدب التركى القديم يرسف فى اغلال الجمود ويقطع مراحل النهضة بتأخر وبطء . فظهر أحمد حكمت بك ورفاقه امثال توفيق فكرت ، خالد ضيا ، جناب شهاب الدين وغيرهم ممن أحيوا الأدب التركى القديم، وكسروا قيود التعصب، واغلال البطء، وأظهروا للناس نتائج أفكارهم وثمرات عقولهم التى اقتبسوها من المغرب ، وألبسوا الأدب ثوباً جديداً بنشرهم المقالات الأدبية الطريفة ونظمهم القطع الشعرية الظريفة . ولكن اضطر هؤلاء أن يقفوا حينا بنهضتهم ، ويخفضوا قليلا من أصواتهم ، أمام جور السلطان عبد الحميد وظلمه. وما ظهرت شمس الدستور على يد مدحت باشا حتى قام اصحابنا بنهضتهم وشرعوا يتمون مشروعهم .

يعتمد احمد حكمت بك فى كتابته على الحس أكثر من الخيال ، أسلوبه رقيق ، ومعانيه سهلة ، وأفكاره متينة . أكثر كتبه حافلة بالقصص والحكايات . يسعى حين الكتابة لاظهار حقيقة مايكتب، وهو على عكس رفيقه خالد ضيا ، قليل التكلف والصنعة . ولقد صور الأدب الغربى بصورة توافق لغته وبيئته . وله مؤلفات عديدة ومن أهم آثاره كتاب « خارستان وكلستان » .

وهذه قطعة من منثوره المبثوث بين كتبه القيمة ، فان فقدت جمال الاسلوب وروعة الصنعة فجمال المعنى محفوظ على ما أظن :

« ساعةَ خلقِ الكوْن »

كانت جلبة وقرقعة فى ديجور الظلام الخانق، وكان انقلاب وانفجار وسط الغيوم السوداء المزبدة الحواشى تحيط بذلك الفضاء الواسع. وكانت الرياح تعصف ، والاحجار تسيل . واللهب تنشر حرارتها وتذيب الصخر والجلمود . وكانت الجبال تنقلب والبحار تفرغ وتمتلىء، والغيوم تنفجر وتنشق فتولد المئآت والالوف من النجوم التى تسبح فى الفضاء كما تسبح اليراعات فى الظلمات الحالكة ، تارة تذوب وأخرى تتصادم ثم تعتزل فى ناحية من الفضاء اللانهائى . كانت الامواه تعلو وتنخفض، تغلى وتزبد حول تلك اللهب المتعالية والنيران المتأججة.

والكائنات تدور . . . . نعم كانت تدور . . . .

وكانت طوائف الملائكة المكلفة بتنظيم الارض تطير وتتنقل من طرف الى آخر، منها من تمسك المياه المتجمدة من حوافيها ، وتدفع الجبال بأرجلها ، وترتب النجوم بأيديها ، وتعيد الأنهار الى فراشها . ومنها من كانت تجر (الدب الاكبر) من ذنبه، وتقود (برج الحمل) من قرنه .

والكائنات تدور . . . . نعم كانت تدور . . . .

بين تلك الغيوم والنجوم والدخان واللهيب كان ملك ضحى بنفسه يطير بسرعة البرق خلف كوكب جميل مضىء ، خلف « الزهرة » الشاردة، وبينا يعيدها الى محورها الأول وقع فوق الصخور الملساء على اثر صدمة قوية كانت سبباً فى فقـــده رشده . ولما استفاق من اغمائه سقطت دمعة من عينه انحدرت فوق الصخرة . لقد رأى الخالق الاعظم هذه التضحيات ، ووافقته هذه الخدمات ، فأراد الا تضيع ذكرى هذه الدمعة. فخلق الرجل الأول « آدم ».

كانت دورة الارض تنتظم قليلا قليلا ، فالانهار نامت فى فراشها والبحار هدأت فى احواضها، والنجوم انتظمت فى محاورها، والبراكين خمدت فى اماكنها .

وكانت الشمس فى كل يوم تبعث الحياة على اليابسة.. وكانت الرياح بين آونة وأخرى تساعد الشمس فى بعث الجمال والحياة وتطرية هذه الكائنات. وكانت بذور الورود تنتثر من الآفاق وباقات زهور الحب تتساقط من الغيوم ، وذرات النجوم المتناثرة فى تلك القبة الزرقاء تشكل مروجا من زهور البابونج « پاپاتيه » ، وحاشية من حواشى قوس قزح تبدو للناظر ذيل طاووس بهيج .

وقد وجدت هذه البدائع لتكون مكافأة للملائكة على جهودهم وخدماتهم . وكانت الحور يتمتعن من هذا الجمال والتجديد تارة يسرن واخرى يطرن ، يسمعن اغاريد الطيور ، ويبتهجن من اريج الزهور، ويتراكضن نحو ظلال الاشجار مرحات طربات، وكانت اجملهن واصغرهن ، وأتعبهن جالسة وسط زهرة فتحت صدرها واوراقها لأشعة الشمس لتشعر بهذا الجمال اكثر من رفيقاتها ، ولتتذوق هذه الحلاوة قبل صويحباتها . وهى كجميع



فى ساحة عليين

لأناتول فرانس

رأيت نفسى فجأة فى ديار خيم عليها ظلام وهبب صامت، برزت فيه صور وأشباح مبهمة ملأتنى خوفا وزعبا، ولقد ألفت عينى بعد حين حلكة الظلام ورأيت بجانب نهر تنساب مياهه فى هدوء شبح انسان رهيب المنظر على رأسه قلنسوة أسيوية، ويحمل على كتفه مجدافا عرفت فيه أودبسيوس الخادع، وكان خداه غائرين وقد غطت ذقنه لحية بيضاء شعثاء.

سمعته يقول بصوت خافت ضعيف: انى جوعان، وأحس بعينى مظلمتين ونفسى كأنها دخان ثقيل يسبح فى الظلام؛ ألا من يعطينى جرعة من الدم الأسود لأستعيد ذكرى سفنى المنقوشة وزوجتى الطاهرة وأمى!!

فلما سمعت هذه الكلمات عرفت اننى قد انتقلت الى بقاع الجحيم، فحاولت ان استرشد فى خطوى بأوصاف الشعراء مااستطعت الى ذلك سبيلا، وذهبت الى مرج قد أضاءه نور ضئيل. وبعد مسير نصف ساعة انتهيت الى رهط من الأطياف قد اجتمعت فى صعيد واحد وأخذت تتطارح الحديث وهى تضم نفوسا من كل عصر، فرأيت بينها الفلاسفة العظام بجانب الهمج الفقراء، ولقد اختبأت تحت ظلال شجرة من أشجار الريحان، وأنصت الى حديثهم: فكان أول من سمعت (بيرهون) وهو يسأل فى رقة وتوسل وقد أمسك بيديه قدومه كأنه بستانى بحق:

ماهى النفس؟

فأجابته الاطياف التى حوله باهتمام وكلها يريد التكلم دفعة واحدة

قال أفلاطون وفى عينيه نظرة الرجاحة: ان النفس ثلاث، فلنا نفس نهمة فى البطن، ونفس محبة فى القلب، ونفس عاقلة فى الرأس. والنفس خالدة، اما النساء فلهن نفسان وتعوزهن النفس العاقلة

فرد عليه شيخ من أعضاء مجلس ما كون قائلا: انك تتكلم ياافلاطون كمن يعبد الاوثان، ففى سنة ٥٨٥ قرر مجلس ما كون بكثرة الاصوات اعتبار المرأة ذات نفس خالدة، والمرأة هى الرجل لان المسيح الذى ولد من عذراء يدعى فى الانجيل بابن الرجل

فهز أرسطو كتفيه ورد على أستاذه بلهجة الحزم والوقار قائلا: من المرجح عندى ياأفلاطون ان لنفس الانسان والحيوان خمسة أنواع: النفس الغذائية، والنفس الحساسة، والنفس الدافعة، والنفس الشهوانية والنفس العاقلة: والنفس هى العنصر الذى يتكون منه الجسم، فاذ اهلكت هلك بهلاكها

وطرحت أراء أخرى كل واحد منها يعارض الآخر

أوريجن: ان النفس مادية وهى شىء رمزى

سنت أوجستين: كلا، ليست النفس مادية وهى خالدة

هيجل: - إن النفس ظاهرة طبيعية

شوبنهور: - ان النفس مظهر وقتى للارادة

رجل من بولينيزا: إن النفس هى نفس الريح، ولما رأيت ان نفسى صاعدة ضغطت على أنفى لاحفظها داخل جسدى، ولكننى لم استطع أن أضغط الضغط الكافى فمت

امرأة هندية: من فلوريدا - لقد قضيت نحبى وأنا فى مهد طفلى، فوضعوا ابده على شفتى ليمسك نفس أمه من الصعود، ولكن جاء هذا متأخرا فقد انسابت نفسى بين أصابع الطفل البرئ

ديكارت: - لقد أثبت أخيرا ان النفس كانت شيئا معنويا، أما عن مصيرها فارجعوا الى الاستاذ ديجبى الذى كتب فى هذا الموضوع

لامترى: - اين ديجبى هذا؟ أحضروه

مينوس: - ايها السادة سأبحث عنه فى كل بقاع الجحيم،

المخلوقات تنتظر ظهور المعجزة يرشفها اشعة الشمس المشرقة بشفتيها وعينها.

بدا نور وجمال فى شفتى تلك الحورية على اثر رؤيتها فى كل عصفور ريشة منيرة، وفى كل زهرة لونا جديدا وفى كل شجرة ثمرة حلوة. كان هذا النور وهذا الجمال «الابتسامة الاولى».

وقد رأى الخالق الأعظم هذه التضحيات ووافقته هذه الخدمات فأحب ان تدوم ذكرى هذه الابتسامة فخلق منها المرأة الاولى «حواء»

وانتهى بذلك خلق الكون؟

البرنس ماجتاس : ـ عندنا ثلاثون دليلا على فناء النفس ، وستة وثلاثون على خلودها ، فهناك أكثرية ستة اصوات بجانب الخلود

صانع أحذية : ـ إن روح السيد الشجاع لا تموت لا هى ولا غدارته ولا غليونه

رابى ميموندس : ـ لقد كتب من قديم ان الرجل الشرير سيبيد ولن يبقى منه شىء

سنت أوجستين : ـ انك مخطىء يارابى ميموندس ، فقد كتب ان المذنب سيذهب الى النار وسيخلد فيها أبدا

أوريجين : ـ نعم ان ميموندس مخطىء ، فالرجل الشرير لن يبيد ولكن سيتقلص حتى يصبح ضئيلا جدا فلا يمكن تبينه ، ويجب أن تعلم هذا ممن حلت بهم لعنة الله ، اما عن نفوس القديسين فسيكون نصيبها الامتزاج بالله

دنس اسكوتس : ـ ان الموت يجعل الكائنات تمتزج بالله مرة اخرى كأنها صوت يغيب فى الهواء

بوسويه : ـ ان أوريجن ودنس اسكوتس يخطئان هنا ، فان ماروى فى الكتب المقدسة عن عذاب الجحيم يجب أن يفهم بمعناه الدقيق الحرفى ، وهو ان الاشرار سيظلون أبدا تتنازعهم الحياة والموت ، وسيخلدون فى العذاب لأنهم سيبقون اقوياء لا يموتون ، وضعفاء لايحتملون ، ولن يبرحوا يئنون على مقعد من النار مغمورين فى مض من الالم لاشفاء لهم منه

سنت اوجستين : ـ نعم يجب ان نفهم هذه الحقائق بمعناها الحرفى ، ونعلم ان أجسام الاشرار هى التى ستعذب فى النار ، ولن ينجو من هذا العذاب الشديد الاطفال الذين يموتون عند ولادتهم ، او حتى فى بطون أمهاتهم ، فهكذا اقضت العدالة الالهية ، فاذا رأيت انه يتعذر عليك تصديق أن الأجسام التى تلقى فى النار لن تهلك ابدا فهذا نتيجة الجهل المحض ، فانت لاتعلم أن هناك انواعا من اللحم تحفظ فى النار كلحم الديك البرى ، وقد جربت هذا فى هدهد ، إذ هيأ لى طاه أحد هذه الطيور وخصص نصفه لغذائى ، وبعد اسبوعين طلبت النصف الآخر فكان لايزال صالحا للأكل ، فظهر لى ان النار حفظته كما ستحفظ اجسام الاشرار

سمنجالا : ـ ان كل ماسمعته من أنواع الفلسفة الى الآن مظلم كظلام الغرب الدامس ، والحقيقة أن الأرواح تحل فى أجسام مختلفة قبل أن تمتزج بالنيرفانا المباركة التى تضع حداً لشرور الحياة ، فقد حل (جوتاما) فى خمسمائة وخمسين شكلا قبل أن يصير (لودا) فكان ملكا ثم عبداً ثم قرداً ثم فيلا ثم ضفدعة ثم شجرة من أشجار الدلب وهكذا

قسيس : ـ إن الناس يموتون كما تموت دواب الحقل ، ومصيرهم كمصيرها ، وكما يموت الناس تموت البهائم أيضا ، وكلاهما يتنفس هواء واحدا وليس للناس شىء لا تملكه البهائم

تاسيتوس : ـ ان هذا الكلام يكون مقبولا مفهوما لو نطق به يهودى خلقت نفسه للعبودية ، أما أنا فانى اتكلم كرومانى فأقول : ان أرواح الوطنيين المشهورين لاتفنى ، ويجب أن نؤمن بذلك إيمانا صحيحا ، ولكننا نتهم عظمة الآلهة اذ نحسبها تهب الخلود لأرواح العبيد والعتقى

شيشرون : ـ واأسفاه يابنى ! ان كل مايروون لنا عن بقاع الجحيم انما هو نسيج من الاباطيل . وأنى لأسأل نفسى أهناك طريق آخر يكفل لى الخلود الا ذكر عهد قنصليتى الذى سيبقى الى الأبد ؟

سقراط : ـ أما أنا فانى أومن بخلود الروح ، فهو فرصة يحسن انتهازها ، وأمل يعلل به كل انسان نفسه

فكتور كوزان : ـ يا عزيزى سقراط ! إن خلود النفس الذى أوضحته بجلاء أمر لابد منه للاخلاق والآداب ، لأن الفضيلة موضوع مناسب للخطباء ، ولو لم تكن النفس خالدة لما كان للفضيلة ثواب

سنيكا : ـ واعجبا يافيلسوف الغال ! أهذه مبادىء رجل حكيم ؟ ألا فاعلم أن جزاء الاعمال الصالحة هو فى تأديتها والا فجزاء تثاب به الفضيلة يكون غريباً عن الفضيلة ذاتها

افلاطون : ـ ولكن هناك ثوابا أو عقابا بالهيا ، فعند الموت تصعد روح الرجل الشرير لتحل فى جسم حيوان حقير كحصان أو عجل بحر أو امرأة ، أما روح الحكيم فتمتزج بالآلهة

بابنيان : ـ أن مايعنى افلاطون هو أن العدل الالهى سيتولى فى الحياة الأخرى اصلاح اخطاء العدالة الانسانية ، والأمر على النقيض من ذلك ، فخير للافراد الذين أصابهم فى الدنيا عقاب لايستحقونه ـ قضى عليهم به قضاة معرضون فى الواقع للزلل برغم جدارتهم بمناصبهم وخبرتهم بالقضاء ـ أن يظلوا يقاسون الآلام والعذاب فى عالم الأرواح ، وهذا ماتعنى به العدالة الانسانية التى قد يضعف من شأنها أن تضعها الى جانب الحكمة الالهية

قزم : ـ ان الله يحسن الى الاغنياء ويسىء الى الفقراء ، لانه يحب الاولين ويبغض الاخرين ، ولحبه الاغنياء سيرحب بهم فى جنانه ، ولبغضه الفقراء سيصليهم بناره

صينى بوذى : ـ اعلم ان لكل انسان نفسين : إحداهما خيرة وهى التى ستمتزج بالله ، والأخرى شريرة وهى التى سيحل بها العذاب

عجوز من تارنت : ـ ايها الحكماء افتوا شيخا يحب البساتين ، هل للحيوانات نفس ؟

ديكارت دماليبرانش : كلا ، انها آلات

« البقية على صفحة ٣٣ »



النســـــل

للدكتور احمد زكي

منذ شهرين قامت ضجة فى بلد من بلدان أوربا الوسطى وصل اضطرابها الى أطراف العالم الحى . ذلك أن حكومة ذلك البلد قاضت جماعة من الأطباء قاموا بطريقة منظمة على تعقيم كل ذَكَر لا يرغب فى الانسال ، أو أنسل ولم يعد له رغبة فى المزيد ، أوله رغبة فى المزيد تأباها عليه الضائقة الحاضرة ، بثت هذه الجماعة دعايتها بين الفقراء من العمال والفقراء من الزراع ، ولم تكن غايتها الكسب ، فان أجرة العملية كلها على ما أذكر كانت جنيهين ونصفا فى ذلك أجرة الطريق أو أجر السفر . وانما كانت غايتها منع النسل عن غير القادرين على رعايته ، وتجويد نوع المواليد بالاقلال منهم . على قاعدة أن المائة من الجنيهات قد تنفق على اثنين وقد تنفق على أربع . ولكن إن هى أتتك فى الحالة الأولى برجلين فهى تأتيك فى الحالة الثانية بأربعة أنصاف من الرجال ، وحيث أن الدنيا ضاقت بالعدد العديد الذى لا يجد عملا ، فأولى بالناس أن ينصرفوا عن العدد الى الجودة ، وعن الكم الى الكيف . ولكن الحكومة التى رفعت الدعوى عليهم رأت أن فى العدد سلام الدولة ، وان للكم الغلبة بين الأمم . ومهما يكن من رأى هؤلاء أو اولئك فالذى نريد أن نسجله دعوى جديدة تدعيها هذه الرفقة ، وهى أنهم يقطعون بمشرطهم حبلا فيقطعون ما بين الرجل وذراريه ، ثم يصلون بملقط ما قطعوه ، فيعود الرجل الى انتاجه القديم . ونريد أن نسجل أن بهذا المشرط ولاسيما بالملقط ستحدث احداث غريبة فى العالم ستأتى على رغم الكراهات وبرغم القوانين ولو أبطأت بها الأيام

الانتاج من قديم فخر الرجال والعقم عاره ، ولكن كان هذا والايام تسير الهوينى والأرزاق كأنها تنزل من السماء على أنفس قنوعة راضية ، أما المدنية الحاضرة مع بوائقها وضوائقها وانعدام العصبية الأسرية فيها الى حد كبير ، فلا تكاد تبقى للانسان فخارا بخلف أو عارا من عقم ، ولاسيما عقما لا يذهب بمشاعر الحيوانية من الانسان ، دليل ذلك أن الكثيرين يتعقمون اختيارا ، وفى مصر من هؤلاء عدد يذكر تعقموا فى وضح النهار على سمع الناس وأبصارهم . ولكنهم مهما كثروا قليلون الى جانب من يرغبون فى حبس النسل أو تقليله ، ولكن تأبى نفوسهم وتثور حفائظهم وتقشعر أبدانهم أن تنتزع الرجولة منهم وتقتل الذكورة فيهم ، أما الآن وقد وعد الطب بوصل ما يقطع ، فلم تعد الرجولة تنتزع ولا الذكورة تقتلع ، وانما يقطعان الى وصل ، ويطويان الى نشر ، وفى هذا من الأغراء ما فيه . ومن الممتع اللذيذ للعالم الاجتماعى أن يتابع عن كثب هذا الأثر الجديد للشارط والملاقط فى حياة الأسر ، وطاقات الطوائف والأمم ، فهما اداتان للخير والشر على السواء ، لابد من ضبطهما بأيد مسئولة ، ولا سبيل الى تركهما لأهواء الأفراد طيلة انتسابهم الى مجتمع منتظم هم من نتاجه

واجتمعت الجمعية الطبية البريطانية اجتماعها السنوى فى (دبلن) من أسابيع قليلة عقب الثائرة التى أثارتها تلك القضية ، فرأينا أصداءها تتردد حتى فى هذه القيعان ، فقد قام جماعة من الأطباء ذوى اسم ومكانة ينصحون بتدخل الجمعية فى تحديد عدد السكان فى الجزر البريطانية واباحة تلك العملية واتخاذها اداة لمنع الاضرار الاجتماعية التى تتسبب فى الأوساط الفقيرة عن ارسال حبل الانسان على غاربه ، ولاسيما فى مناطق التعدين حيث الفقر مدقع والبطالة لا أمل فى العثور على علاج لها لا فى الحاضر ولا فى مستقبل الأيام . وقامت معارضة هادئة ، الا أنها من

صنف المعارضات التي تنجح و تتلقاها آذان السكسونيين دائما بالقبول . قام معارض فقال : إن للمسألة وجوها غير طبية ، فلها وجه اجتماعي ووجه آخر خلقي . وليس الطبيب بأهل ان يبحث فى الاجتماع أو أن يرسم للناس كيف يتخلقون . وقام طبيب الملك فقال : ان من انجع الطرق فى وقف سير حركة جديدة أو تعطيل اعتناق الناس لمذهب طريف ، أن تتدخل فيه بالعنف الرسمي ، سواء أكان ذلك بتحكيم القانون أم بتقرير جماعة مسئولة كجماعتنا هذه . كل حركة جديدة أو مذهب طريف ، لابدأن يتأهل له الناس . وما التقنين الاصياغة لرغبة عامة وتتويج لأرادة شاملة ، فلندع جمهور الامة يفكر فى صمت ، فى المجالس الخاصة وبين فترات العمل ، فى راحة مابعد الغداء ، أو اضطجاعة مابعدالعشاء ، وفى اثناء التروض على الحشيش الأخضر أو على رمل الساحل ، اعطوا الجمهور الزمن ليفكر . ولا تسبقوا أحداث الوجود ، فعندئذ يأتيكم هذا الجمهور يطلب منكم النصيحة ، وعندئذ تعطونه اياها نصيحة ناجعة سهلة ، تصل بكم الى الغرض بسرعة كبيرة تعوضكم عن الابطاء الذى كان لابد منه لتفكير الناس واقتناع الجماهير — وكان هذا فصل الخطاب

أما فى ألمانيا الهتلرية فقد جرى النقاش فى الموضوع وتقرر القرار وصيغ القانون فى ليلة وضحاها . والواقع اننا لم نكد نسمع الا بالقانون وقد صدر ، وهو يقضى بالتعقيم الاجبارى لكل مريض بمرض يمكن توريثه . وعددوا تلك الأمراض فكان منها ضعف العقل وبعض صنوف الجنون والصرع والتشنج المفصلى والعمى والصمم الموروثان ، وكل عاهة يمكن توريثها . وكذلك ادمان المسكرات اذا بلغ حد المرض . وتنصب لجان للتقرير عن حالة المرضى ، وللمريض ان يستأنف ، فأن قضى الاستئناف بالتعقيم أنفذ بالقوة فى مصحات الحكومة . وتقع نفقة كل هذا من قضاء أو تعقيم على أولى الأمر ، ويتعهد كل من يتصل بشىء من ذلك بالتكتم والتستر حتى لا يعرف من تعقم . ولم يسمح القانون باجراء العملية على الاصحاء لأسباب اجتماعية مهما كانت تلك الاسباب . ونسمع انهم سيخرجون فى القريب العاجل قانونا خاصا بتعقيم المجرمين هذه البداية ، ولسنا ندرى ما النهاية . حرموا النسل على المرضى لخير المجتمع . أو لما يرون فيه خير المجتمع ، وفرضوه على الأصحاء لخير المجتمع كذلك أو لما يرون فيه الخير للمجتمع . والروح السارية فى هذا كله تقضى بالتضحية بالحرية الفردية لصالح الجماعة . وهى روح تلتئم مع روح العصر المكنى فالجماعة مكنة والافراد قطعها ، فهى إن دارت تدور بسرعات مختلفة وفى اتجاهات متباينة ، ولكنها جميعا متناسقة متوافقة ، تؤدى الى نتيجة محتمة واحدة . هى دوران المكنة على الدوام وبانتظام . فان شذت قطعة من القطع عن ذلك كان مصيرها ركام القمائم .

لندن فى ١٧ أغسطس — أحمد زكى

الادب الغربى

بقية المنشور على صفحة «٣١»

ارسطو : ـ بل هى حيوانات ولها نفس مثلما لنا . وهذه النفس تتصل بأعضائها

ابيقور : ـ اجل يا أرسطو لقد كان بما مهد لها سبيل سعادتها وهنائها ما بين نفسها ونفسنا من شبه ، فكلتاهما قابلة للفناء معرضة للموت . اما أنت ايتها الاطياف فانتظرى فى هذه الحدائق الوقت الذى تفقدين فيه الحياة نفسها وبؤسها مع الرغبة فيها والولوع بها ، ولتريحوا انفسكم بالتأمل والتفكير فى هدوء لا يكدر صفوه مكدر

برهون : ـ ما الحياة؟

كلود برنارد : ـ الحياة هى الموت

فسأله برهون قائلا : ـ وما الموت؟ فلم يجبه أحد ، واختفت الأطياف فى سكون كأنها سحاب يفر من الرياح

وحسبتنى تركت وحيدا على العشب حتى لمحت منيبوس وقد عرفته بابتسامته التهكمية

فقلت له : ـ كيف تحدث هذه الجماعة عن الموت يا منيبوس كأن لم يكن لها به عهد؟ وكيف يجهلون مصائر الانسان كأنهم مازالوا على الأرض !

قال لا ريب ان هذا يرجع الى أنهم مازالوا انسانيين وفانين الى حد ما ، فاذا ما ولجوا باب الخلود فلن يتكلموا ولن يفكروا ، اذ سيصبحون كالآلهة .؟

حنفي غالى

« دائرة المعارف الأسـلامية »

ألفها كبار المستشرقين فى ثلاثين عاماً ، ونقلها إلى اللغة العربية لفيف من خريجى الجامعة المصرية ، وكتب الشروح والتعليقات والردود أعلام الفكر فى مصر والعالم العربى

دائرة المعارف الاسلامية أوفى المراجع للباحثين فى الاسلاميات ويعرف المطلعون على ماظهر من أجزائها أن الكثير من فصولها قد جمع الى سعة العلم ودقة البحث حسن الطريقة والارشاد الى المصادر المعتمدة قديمها وحديثها على وجه يستحق الاعجاب كله والثناء ، ولقد همت من قبلكم طائفة من أهل العلم أن تعرب هذا الأثر العظيم فتخاذلت هممهم دونه على عرفانهم لجليل نفعه وتقديرهم لما يعود على النهضة العلمية عندنا من فائدة . أما أنتم فيسعدكم شباب فى عنفوانه وشوق الى الدرس والمجد يحدوه الذكاء ويمده الأمل ويمده فوق ذلك كله الاخلاص فى العلم والاخلاص فى العمل

« مصطفى عبد الرازق »
أستاذ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية

المجلد الاول
١٣٥٢
١٩٣٣
دائرة المعارف الإسلامية
نقلها الى اللغة العربية
محمد ثابت الفندى
ليسانس وماجستير فى الفلسفة
احمد الشنتناوى
ليسانس فى التاريخ وليسانس فى الفلسفة
ابراهيم زكى خورشيد
ليسانس فى التاريخ
عبد الحميد يونس

أما وقد شرعتم بنقل « معلمة الاسلام » فالعمل عظيم والفائدة محققة . والواقع أن هذه المعلمة من أجمع ما كتب على بلاد الاسلام ورجاله فى هذا العصر . . . وفى المعلمة من المقالات الجيدة مالم يكتب مثله بالعربية حتى اليوم مثل مقالات الكرد ، القبط ، مصر ، الهند ، بلاد العرب ، المقوقس ، مسجد ، منبر ، محراب الخ . ومن البلاد التى وصفت والرجال الذين ترجم لهم ما يتعذر ايجاد مصادر له فى الشرق العربى

« محمد كرد على »
رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق

أنه لعمل جدير بالتقدير والاعجاب عمل لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية المقدمة على إخراج هذا السفر الجليل الى اللغة العربية . وإنى أترقب باكورة هذا العمل المجيد كما يرقب الصائم هلال العيد ؟ « يوسف رزق الله غنيمه »
وزير مالية العراق سابقاً

فى رأيى أن هذا عمل جليل تستحقون عليه الثناء لأنى أرى من الواجب الاطلاع على آراء المستشرقين وغيرهم من الأجانب فى الدين الاسلامى والحضارة الاسلامية فما كان منها صحيحا تقبلناه بقبول حسن وما كان مخالفا للدين أو للحقائق التاريخية رددنا عليه وبينا خطأه ليكون القوم على بينة من أمرنا وليعرفوا ديننا وتاريخنا حق المعرفة وليعلموا أن بيننا رجالا قادرين على الرد عليهم إذا أخطأوا وعلى إرجاعهم إلى الحق إذا زاغوا

« عبد المجيد اللبان »
شيخ كلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية

إذا كانت أمم الشرق الأدنى قد نامت نوماً عميقا فى القرون المتأخرة فها هو ذا صبحها أخذ يتنفس وطفقتم أيها الأبناء البررة تدينون بالعلم ماهدم الجهل من مجد قديم وتعيدون سيرة آبائكم الأقدمين باشراق شمس المعارف الاسلامية بعد غروبها . وإن فى ترجمة دائرة المعارف الاسلامية لقياماً بثلاثة واجبات واجب دينى وواجب وطنى وواجب مدرسى لمعهدكم الشريف ؟ « طنطاوى جوهرى »

ستصدر الترجمة العربية فى أعداد دورية عدد كل شهرين
سيصدر العدد الأول فى أول أكتوبر عام ١٩٣٣

الاشتراك عن ستة أعداد داخل القطر المصرى ٤٠ قرشاً صاغا
« « « « خارج « « ٧٠ « «

الاشتراكات ترسل إذن بوستة برسم أمين صندوق اللجنة ابراهيم زكى خورشيد بمركز اللجنة : شارع قصر النيل رقم ٣٣ بمصر



الى الواحات الخارجة

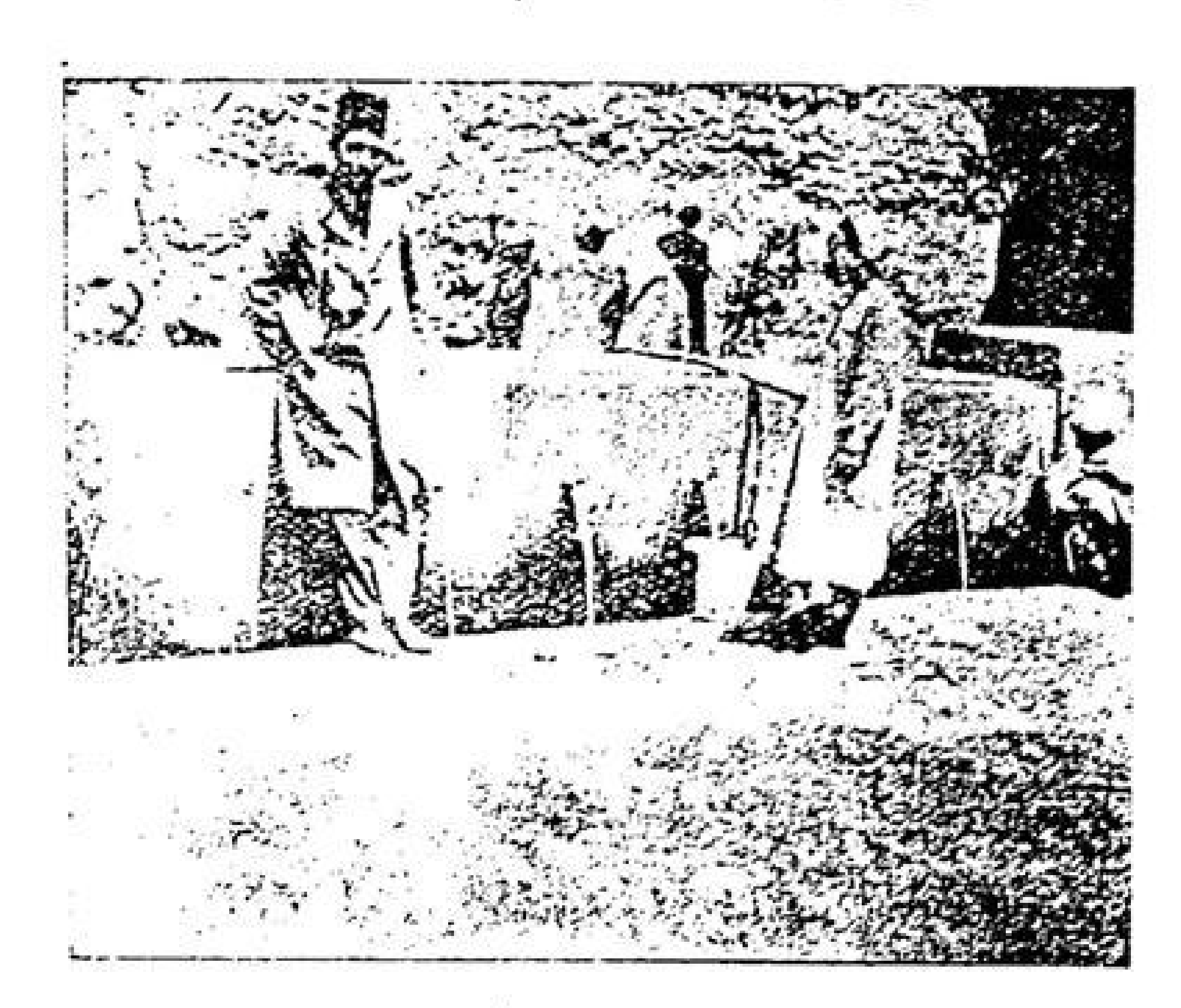
جنة الصحراء الغربية

(وجزيرة الناعمين) فى عرف قدماء المصريين

للأستاذ محمد ثابت

تتمة

ولا تكاد تفتح عين جديدة الا رأيت آثار الرومان فيها فيجددون حفرها. والعين ملك لمن جد فى البحث عنها وقام بتطهيرها، ويساهم كل فيها بنسبة ما بذل من مجهود ومال، وعلى هذه النسبة يستنبت جزءا مما جاورها من الارض، والحكومة لا تتقاضى الضرائب على مساحة الارض المنزرعة فالناس أحرار يزرعون ما أرادوا منها، لكن الضريبة تجبى على طاقة العين بغض النظر عما يزرع حولها. فأذا ما ظهرت عين جديدة تشكل لجنة حكومية ثم يسوى مكان عند منفذ العين توضع فى نهايته عارضة خشبية بعرض القناة فتعترض الماء الذى يطغى عليها ويتدفق فوقها ثم يقاس عمق هذا الماء فوقها



العين الجاريه يستقى منها الأهلون

وبحسب غزارته تقدر قوة العين قيراطا أو بعض قيراط والضريبة نصف جنيه عن كل قيراط، ومن العيون ما هو أقل من قيراط ومنها ما يبلغ عشرات القراريط وفى ناحية باريز أكبر عيون الواحات وقوتها من ٥٨ الى ٦٠ قيراطا، ويقال انها وحدها تستطيع رى مئات الفدادين، لكن أصحابها لا يستطيعون استغلالها كما يجب. لذلك تجمع من مائها الفائض مستنقع يمتد عشرات الكيلومترات كثر به البط والطير المائى، ولذلك يقصده الكثير وبخاصة الموظفين للهو والصيد

وتقسيم ماء العين بين الشركاء عجيب أيضا، فان كان الملاك ثلاثة قسموا القناة الخارجة من منفذ العين ثلاثة أقسام، يجب أن تكون متلاصقة خيفة تبدد الماء بالرشح فيجرى نصيب كل مالك الى أرضه التى يشترط أن تكون مجاورة لارض باقى الشركاء، وألا تزيد مترا واحدا عنهم، ويجب أن يزرع الجميع نوعا واحدا من الغلات، واذا لم يسعف ذاك التقسيم كل حقل قسموا الرى بالساعات، فقلان يروى عددا من الساعات مناسبا لنصيبه، وبعد ذلك يجىء دور صاحبه، وهكذا واذا اقبل المساء واوقف الرى خيف على الماء الدافق من التبديد لذلك يرسل الماء الى مستودع فسيح يدخر فيه الى الصباح حين يروى الشركاء منه على النظام السالف الى أرضهم المنخفضة عن مستوى ذاك المستودع، والاراضى حول العيون مدرجة الانحدار كى يصبح الرى ممكنا، وكثيرا ما كنت ارى المجارى المتقاطعه يسير فيها الماء بعضه فوق بعض مسافات طويلة كل يستمد من عين خاصة به

وكلما مضت السنون على العين ضعفت لكثرة ما يتجمع حولها من رمال فيعاد تطهيرها. وكثيرا ما تقارب العين النضوب او ينفد ماؤها، والعادة انه كلما خرج نبع جديد أغاض ماء غيره أو انضبه

واهم الزراعات: الأرز عماد غذاء الاهلين وهو صغير الحب اسمر اللون لكنه ألذ طعما من رزنا، وهو فى الطبخ ينتفخ فيزيد حجمه كثيرا، ولعل اكبر مميزاته محصوله الوفير فمتوسط غلة الفدان بين ٢٠ و ٣٠ أردبا، وفى الارض الجيدة يغل أربعين، على أنه يمكث فى الأرض سبعة شهور، ولعل جودة ذاك المحصول العجيب راجعة الى كثرة الجهد الذى يعانيه القوم فى خدمته، فزراعته تتطلب عناء عظيما من ذلك: بل البذور بالماء الساخن وبذرها ونقل النبت وهو

صغير من بؤرة فى الارض الى غيرها وتلك العملية تتطلب المثابرة حتى يقارب النضج ، أضف الى ذلك استئصال الطفيليات ، وفى الشهر السابع يبدأ الحصاد وخلال كل أولئك ينشر الفلاح السماد على الارض أولا من روث البهائم ، وأخيرا من فضلات المراحيض. فتراهم جميعا يوالون رمى رماد (الفرن) فى مرحاض البيت كل يوم واذا ما انتهى العام جمع كل ذلك سمادا قويا يعاون على أنبات الأرز. وكلما حسنت الخدمة زاد طول السنبلة فحوت بين ٩٠ و ١١٠ حبة وضوعف المحصول وقد يبلغ الخمسين أردبا ولذلك يجرى على السنتهم جميعاً المثل القائل : (قل زرعك وأكرمه). وبعد تمام رى الأرز ينصرف الماء الى المنخفضات لاستخدامه فى رى القمح وهو الغلة التى تزرع بعد الأرز فى الأرض الجيدة وحولها فى الأراضى الرديئة يزرع الشعير ومحصولها دون محصول أرض الريف.

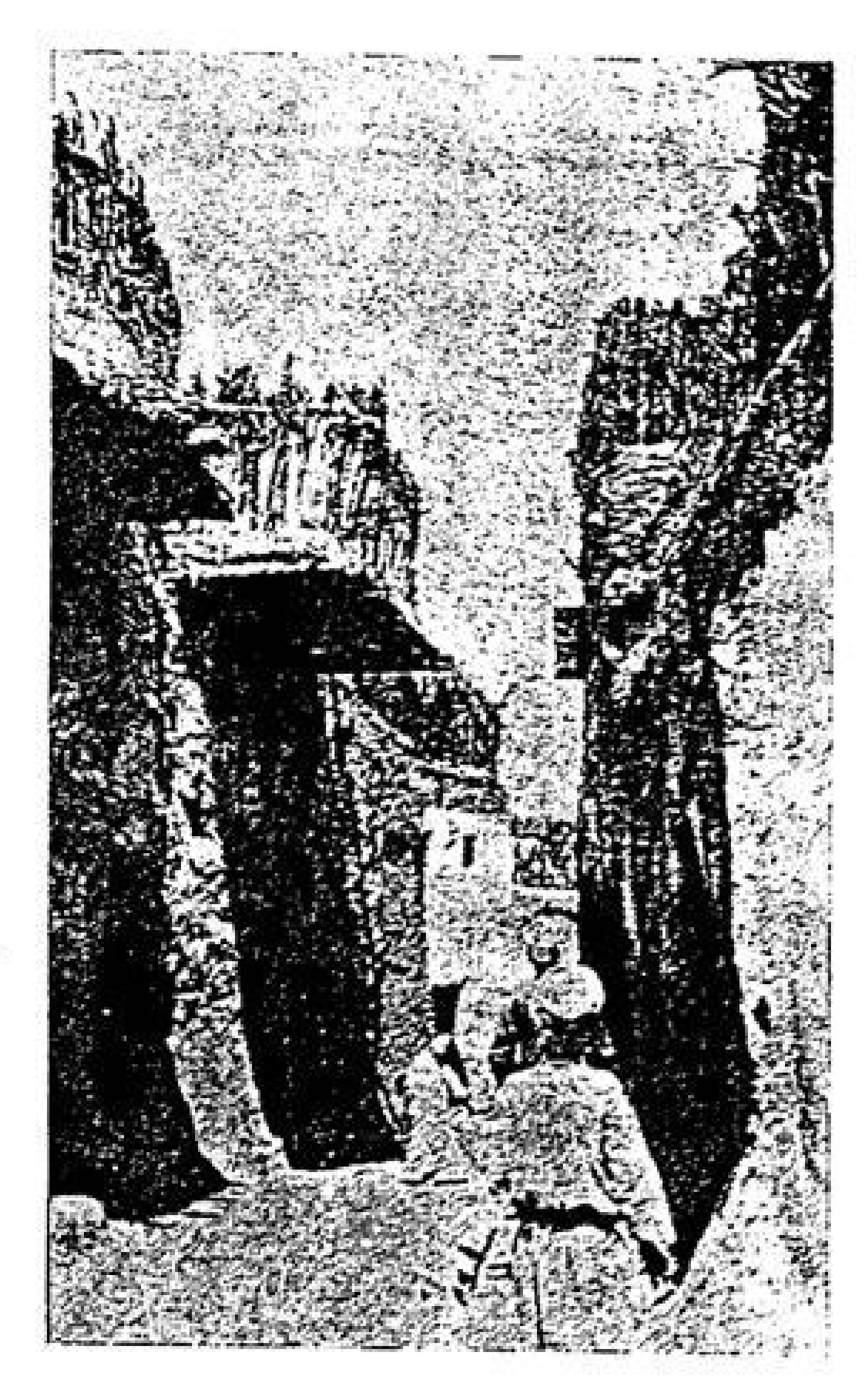
ولما كانت زراعة الأرز أساســية ومدته ، طويلة وهو يتطلب رياً مستديما كثرت لذلك النقائع أغلب العام ، فعاون ذلك على نشر البعوض وبخاصة فى أغسطس وهدد بالملاريا التى كثيراً ما تنتشر هناك ، ولذلك حاولت الحكومة منع زراعته والاستعاضة عنه بالأرز السبعينى لقصر مدته ، ولما جربه القوم أنكروه بتاتاً وذلك لقلة محصوله.

وكم أعجبت بنزعة القوم الى التعاون فى جل أعمالهم! ففى الزراعة مثلا لا يلجأون الى إستئجار العمال خصوصا فى موسم الحصاد؛ بل ترى فريقا ينتقل بكامل عدده الى حقل الفريق الثانى وينجزون أعمال الحصاد متعاونين ، وهؤلاء يقومون بدورهم فى معاونة الفريق الأول إذا حل ميعاد العمل فى منطقتهم، وتلك طريقة إقتصادية تبعث على العمل بنشاط وسرعة لا تتوافر فى المأجورين ، والناس هناك هادئو الطباع معروفون بالأمانة حتى أن صاحب النزل كان يترك الفندق مفتوحا بغير حراس رغم وحشة الليل وبعد المكان عن المدينة لأنه واثق أن ليس بين الناس من يحاول السرقة

غذاؤهم ومشربهم : وعماد القوم فى الغذاء الأرز يأكلونه مسلوقا ويضع الفقير عليه الزيت والغنى المسلى وأحيانا يدق الزيتون كله ثم ينخل ويخلط سائله الزيتى الاسمر بالأرز فيكسبه لونا أسود وطعما لذيذا ، وكثيرا ما يطبخ الارز باللبن والملح . والارز أساس وجبة الافطار فى الصباح والعشاء مساء - وهذه أهم الوجبات لديهم - يطهى فى أوان كبيرة من الفخار أو النحاس . أما الخبز فلطعام الغذاء. وهى أقل الوجبات أهمية يتناولونها فى الحقول خارج بيوتهم.

ومن أشهر الاشياء لديهم الشاى والسكر والطباق ، فهم يبتاعونها بالغلال عند بدء حصدها ، والتجار يختزنون تلك الغلال ليبيعوها للقوم ثانية اذا نضب معينها عندهم

ولقد أسرفوا فى تلك العادة حتى قيل أن الشاى أتلف كثيرا من صحتهم ومالهم لأنهم اذا شربوا عمدوا الى الماء المغلى فصبوه على الشاى الذى يشغل بين نصف القدر (الغلاية) وثلثيه لذلك يصبح منقوعه أسود غايظا ثقيلا ويتناوله حتى صغار الاطفال . وتتكرر تلك العملية فى مجالس الشاى ثلاث مرات. والناس يتناولون الشاى أربع مرات فى كل يوم : عقب الاكلات الثلاث مباشرة ، والمرة الرابعة عند الاصيل ، ولا يروقهم الشاى الخفيف قط ، لذلك ترى الواحد منهم يضع قطرة منه على ظفره ثم ينكسه فان سقطت نفر منه ولم يشربه فهو لا يستملحه الا اذا حاكى العسل الاسود والعجيب أنهم يحلون ذلك بمقادير كبيرة من السكر . وأذكر انى أخذت صورة عجوز وناولتها قرشا فرجتنى أن اشترى لها به بعض الشاى والسكر



شارع : أعجب ما به الطنوف من سعف النخل

بدل النقود وأرسلت خلفى صبيها ليحمل ذلك اليها

وأجمل مناظر الواحة تتجلى فى بساتينها اليانعة تحيط بها أسوار وطيئة من الطين تحفها من اعلاها شحوف النخيل وتتخللها ابواب من الجريد صغيرة وبين تلك البساتين تمتد الطرق وتنساب قنوات الماء الدافق من العيون المجاورة ، وأعظم غلات البساتين البلح والمشمش وكذلك البرتقال وهو من احسن الانواع حجما وطعما

ومن أخطر ما يعانيه القوم طغيان الرمال على البيوت والبساتين والينابيع ، لذلك تراهم يحتالون لمقاومتها . فالعيون يقام حولها بناء اسطوانى ، أو فى زاوية مدببة حتى لا يتجمع الرمل خلفها ويطمرها. ويغلب أن يزرعوا خلفها صفا من الشجر وبرغم ذلك يغلبهم الرمل ، وكلما احاط بالشجر أو النخل استمر هذا فى نموه السريع وعلا حتى إذا ما بلغ نهاية نموه طمرته الرمال فاختفى وعندئذ يهاجر القوم الى ناحية أخرى ، وكثيراً ما حدث ذلك فى ناحية (بجناح) من بلدانهم . وقد يطغى الرمل على البيت فأن قارب نهاية علوه فتح صاحبه فى جداره بعض النوافذ فيتسرب الرمل الى داخل البيت ويسده ثم يبنى الرجل طابقا جديداً فوق الأول ليسكنه ، وقد يتكرر ذلك الى الطابق الخامس والسادس . وقص على القوم أنه حدث مرة أن سيدة فى المكس من قرى باريز أنامت طفلتها داخل البيت ولما عادت وجدت الرمال قد تسربت من ثقب فوقها فطمرتها وماتت. وهناك بعض الكثبان الزاحفة على المدينة قاس الناس سرعة تقدمها فكانت متراً فى كل شهر

نبع ينساب ماؤه الى الحقول

ومن الحشرات المخيفة هناك العقارب ، فهى توجد بكثرة مروعة على أن ضررها قليل ويظهر أن سمها أخف من سم العقارب التى فى بلاد الصعيد ، وفى بعض القرى هناك كالمكس لا تكاد ترفع قطعة من الطوب الا وترى أسفلها قد افترش بالعقارب ، لذلك ترى الاهلين جميعا اذا اقبل الليل خرجوا الى كثبان الرمل العالية وأمضوا ليلتهم فيها ولا يجرؤ احدهم أن يدخل الدار طيلة الليل خشية لدغاتها

ومما هو جدير بالذكر والاغتباط ما شاهدته من عناية محافظ الواحات بصوالح الناس، فهو دائما يفكر فى خدمتهم وزيادة مواردهم ، وقد أنشأ قسما مستحدثا فى المدينة طرقه نظيفة مرصوفة تحفها الاشجار ، وقد افتتح الطريق الى اسوان لاول مرة . عاون على فتح الطريق الى اسيوط فقطعته السيارة فى سبع ساعات وهناك طريق معبد الى الواحات الداخلة تقطعه السيارات فى ست ساعات ، وآخر يسير شمالا الى مرسى مطروح . والمحافظ جاد فى بناء مسجد فاخر فسيح الرحاب أحاطه بالمتنزهات

والمستمد العام لماء الشرب نبع احاطته الحكومة بالبناء تتخلله الانابيب والصنابير وذلك محافظة على نظافة الماء ان تلوثه الاوساخ وتعبث به الايدى. يملأ منه السقاءون قربهم والفتيات جرارهم وهى مستطيلة الشكل كى تحملها الفتيات تحت اذرعهن لا فوق رءوسهن . والاوانى من اخص صناعتها . وكذلك ضفر الأطباق والآنية من سعف النخيل يزينه نقش من الوبر والصوف الملون الجميل

ومجهود القسم الطبى هناك عظيم ، يقوم الطبيب بالعلاج ويصرف الدواء مجانا ويعالج المرضى فى مستشفى كبير زود باحدث الوسائل وهو فى ناحية من المدينة بولغ فى تجميلها وتنسيق حدائقها

ذلك بعض ما شاهدته فى الواحات الخارجة التى ستظل ماثلة أمامى اذكرها بالخير دائما. ولقد أسفت لانى لم أستطع زيارة الواحات الداخلة التى يقول عنها جيرانها بأنها أعم خيرا وأفسح مدى ، سكانها يناهزون ثمانية عشر الفا ، أعنى ضعف سكان الخارجة وانى لأرجو ان أوفق الى زيارتها فى يوم قريب .

محمد ثابت

بليـــاس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكى موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

(تابع)

مليزاند ـــ بل يتحدث الى فى بعض الأوقات . إنه لا يحبنى وقدقرأت ذلك فى عينيه . ولكنه يبادلنى الحديث حين يقابلنى فى طريقه

جولو ـــ لا تحقدى عليه يا مليزاند ؛ إن فى طبعه بعض الشذوذ والغرابة . . .سيغير الزمن هذا الطبع . . إنه فى ميعة الصبا وزهرة العمر . . .

مليزاند ـــ ليس هذا اياه . . .

جولو إذن ماذا ؟ أتعجزين عن رياضة نفسك على السكون الى الحياة التى نحياها فى هذا القصر ؟! حقا انه عتيق معتم يخيم عليه سكون رهيب ، والطبيعة حوله حزينة صامتة ، والغابات الكثيفة تحجب عنه نور السماء ، ولكن الأنسان يستطيع بالأرادة الحسنة أن يألفه ويطمئن اليه . . . اهتبلى كل فرصة لأدخال الانس على نفسك وابتهجى بالحياة كما هى . .تكلمى وأفصحى عن رغبتك . سأسير على حكمك وأقف عند مشيئتك

مليزاند ـــ انى لم أر قط السماء صافية . . . لقد رأيتها لأول مرة فى هذا الصباح

جولو ـــ أهذا هو الذى أبكاك يازوجى العزيزة ؟! أتستخرطين فى البكاء لأنك لاترين السماء ؟! كيف ذلك ؟! لست فى العمر الذى يبكى الأنسان فيه على مثل هذه الأشياء التافهة . . . جاء الصيف أو كاد ، وسترين السماء فى كل يوم . . . وفى العام المقبل . . . هاتى يدك . . . أعطنى يديك الصغيرتين (يمسك يديها) أوه انهما صغيرتان أستطيع سحقهما كما أسحق الأزهار الرقيقة . . . آه ! أين الخاتم الذى أعطيتك اياه ؟

مليزاند ـــ الخاتم ؟

جولو ـــ نعم . خاتم العرس أين هو ؟

مليزاند ـــ اعتقد . . . أعتقد أنه سقط

جولو ـــ سقط ؟ : أين ؟ هل فقد ؟

مليزاند ـــ كلا . لقد وقع . . ولكنى أعرف أين هو

جولو ـــ أين ؟

مليزاند ـــ أتعرف الكهف القائم على شاطىء البحر ؟

جولو ـــ نعم أعرفه حق المعرفة

ميزاند ـــ الخاتم فيه . . . لابد أن يكون هناك . . . نعم أذكر أذكر الآن كل شىء . ذهبت اليه فى هذا الصباح لأجمع بعض القواقع لاينيولد الصغير . . . فى الكهف منها أنواع ذات شكل وجمال . . وأثناء ذلك انزلق الخاتم على أصبعى ووقع فى البحر . . . وحان وقت رجوعى الى القصر فغادرت الكهف قبل أن أجد الخاتم

جولو ـــ هل توقنين أنه حيث تقولين ؟

مليزاند ـــ نعم . نعم . شعرت به وهو ينزلق

جولو ـــ يجب أن تذهبى الى الكهف للبحث عنه فى الحال

مليزاند ـــ آوه ! الآن ؟ وفى الحال ؟! ألا ترى الظـــلام الحالك ؟!

جولو ـــ اذهبى فى الحال وفى هذا الظلام الحالك . أحب الى أن أفقد كل ما عندى من أن أفقد هذا الخاتم ! انك لا تعرفين قيمته ولا تدرين من أين جاء . . . سيعلوا البحر الليلة ويبلغ جدار الكهف ثم يستحوذ على الخاتم دونك . . . أسرعى

مليزاند ـــ لا أجرؤ . . . لا أجرؤ على الذهاب وحدى

جولو ـــ اذهبى . . . اصحبى معك أى انسان . . أسرعى . . . تقدمى الى بلياس أن يصحبك

مليزاند ـــ بلياس ؟! أأذهب الى الكهف مع بلياس ؟! ولكنه لن يقبل . . .

جولو ـــ سيعمـل كل ماتسألين إياه . إنى أعرف بلياس أحسن منك ، اذهبى واسرعى . لن أنام حتى أسترد الخاتم

مليزاند ـــ آوه! لست سعيدة ! ما أعظم شقائى ! (تخرج باكية)

المنظر الثالث :

(أمام كهف . يدخل بلياس ومليزاند)

بلياس ـــ (يتكلم وهو مضطرب الأعصاب إلى حد كبير) نعم . إنه هنا . لقد بلغنا غاية السرى . الظلام حالك يحجب عن عن الابصار مدخل الكهف ، وكأنى به قطعة من الليل البهيم . والنجوم لا تطل على هذه الناحية المتلفعة بالظلمة الداجية . فلننتظر حتى يمزق القمر عن نفسه ستر هذا السحاب الكثيف ، وينير الكهف بأشعته الباسمة ، فنستطيع الدخول آمنين . ولا يغرب عن بالك أن من الأمكنة ما هو شديد الخطر ، والمستدق ضيق وعمر يقع بين بحيرتين لم يسبر غورهما بشر . . . ولم يخطر ببالى أن أحمل معى مشعلا أو سراجا منيرا . . . ولكنى أعتقد أننا سنجد على ضوء مساء هدى . . ألم تلجى هذا الكهف يوما ؟

مليزاند ـــ كلا

بلياس ـــ فلندخل . . . يجب أن تملئى عينيك بالمكان الذى

فقدت فيه الخاتم كما قلت له ليتسنى لك وصفه اذا سألك عنه . . . ان الكهف كبير فسيح ، ورائع بهيج ، تموج فيه ظلمات تضرب الى الزرقة بعضها فوق بعض . واذا أشعل انسان فيه مصباحا صغيرا خيل اليه أن القبة مغطاة كالسماء بنجوم وكوا كب . . . لا ترتعدى هكذا ! خلى عنك الخور فليس هنا من خطر ، وسنقف فى اللحظة التى يغيب فيها عنا الضوء المنبعث من اليم . ماالذى يفزع جنانك ؟ أهو صوت الهواء الضارب فى بطن الكهف ؟ أتسمعين عجاج البحر خلفنا ؟ كأنى به غير سعيد الليلة ! . . . آه! اها هو ذا النوء ! . .

(فى هذه اللحظة ينير القمر مدخل الكهف وجزء من داخله . ويرى فيه ثلاثة شيوخ بيض الشعور فى أسمال بالية . يناموون على الأرض متلاصقين ورءوسهم متكئة على صخرة كبيرة)

مليزاند — آه !

بلياس — ماذا جرى ؟

مليزاند — أرى . . . أرى . . . (ثم تشير بأصبعها الى الفقراء الثلاثة)

بلياس — نعم . لقد رأيتهم أنا أيضا

مليزاند — هلم نخرج . . . لنذهب من هنا ،

بلياس — انهم ثلاثة شيوخ نيام استبدت بهم الفاقة . . . لماذا فزعوا الى الكهف يستعدون فيه النوم على الألم ؟ بالبلاد قحط أليم . . .

مليزاند — تعال معى نغادر هذا المكان !

بلياس — سكنى روعك وتكلمى بصوت خافت حتى لا يستيقظ هؤلاء المساكين . . . انهم ناعمون فى نوم عميق . . . تعالى

مليزاند — ... دعنى، أفضل المسير وحدى ...

بلياس — سنعود فى يوم آخر ... (يخرجان)

— الفصل الثالث —

المنظر الأول :

(أحد أبراج القصر تطل احدى نوافذه على طريق مستديرة)

مليزاند — (فى النافذة تغنى وهى تمشط شعرها المرسل)

شعرى الطويل يتدلى
حتى يصل الى أسفل البرج
شعرى ينتظر مقدمك
مسبلا على الحائط طول النهار
أقسم بالقديس دانيال وزميله ميشيل
بالقديس ميشيل ومثيله القديس روفائيل
انى ولدت حقا يوم أحد
يوم أحد عند منتصف النهار

(يدخل بلياس من الطريق المستديرة)

بلياس — هيه ! هيه !

مليزاند — من المنادى ؟

بلياس — إنى بلياس . . . هأنذا . . . ماذا تفعلين فى النافذة ، وأنت تغنين كطير ليس من هذه الناحية ؟

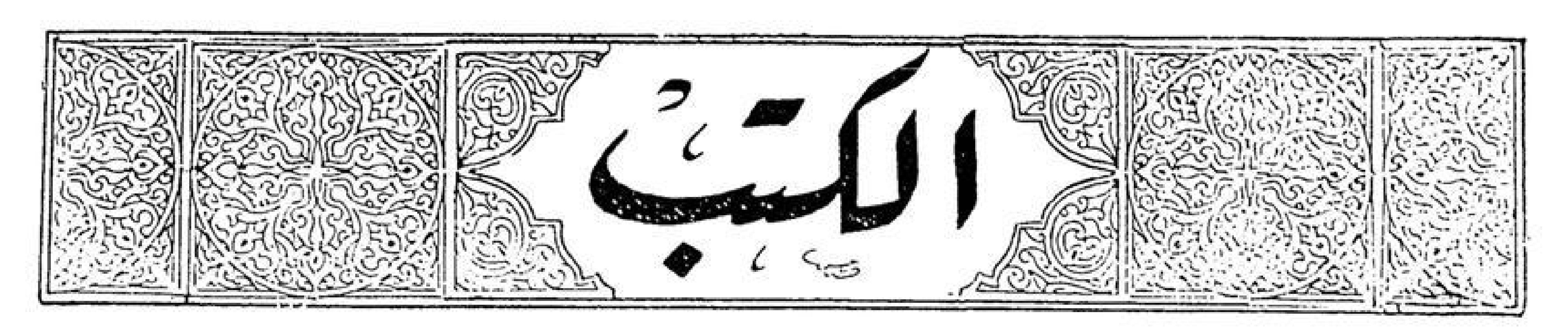
مليزاند — أرتب شعرى استعدادا لليل

بلياس — أهو هذا الذى أراه على الحائط ؟ . . . ظننت انه شعاع من نور . . .

مليزاند — فتحت النافذة لأن الحر شديد فى البرج . . . ما أجمل الجو الليلة !

بلياس — أرى فى السماء نجوما كثيرة . . . لم أر قط مثل هذا العدد الوفير الذى أراه فى هذا المساء ! ولكن مالى لا أرى البدر ؟ . . إنه ما يزال مطلا على البحر . . . ابتعدى عن الظل يامليزاند وانحنى قليلا حتى أرى شعرك المحلول (تنحنى مليزاند على النافذة)

(يتبع)



عودة الروح

بين العامية والعربيـــة

— ١ —

أشهد أن الاستاذ توفيق الحكيم مؤلف متعب وكاتب ليس بالسهل ولا باليسير. وما عليك ان لم تلحق غباره أو تلم بجميع نواحيه. ويخيل الى أنه كقمة افرست الشامخة ترسل اليها البعثات من آن لآن، ويرتادها الرواد من شتى جنباتها يحاولون الوصول الى ذلك السمو وارتقاء ذلك الارتفاع الشاهق، ويهيئون لذلك الوسيلة ويأخذون للامر أهبته وعدته، ثم يعودون ليكتبوا عنها المجلدات الضخمة ويضعون فى وصفها الاسفار المسهبة. وما يزال اكثرها مجهولا فى طى الخفاء. بعيدا عن الثابت من اليقين الذى لايقبل الشك، وتضيع كل الجهود أمام ذروة هذه القمة هباء.

أثارت «أهل الكهف» للاستاذ المؤلف ما أثارت، وأوسع لها النقد الرحاب وهتف لها اكبر الكتاب وأئمة النقاد فى البلد، وارتفع توفيق الحكيم كالطود الشامخ فى مثل لمح من البرق خاطف، واصبح اسمه ملء الاسماع والابصار. ولما يقدم الا رواية واحدة أو قل كتابا واحدا من مجموعة ضخمة يخايل بها الناس ويضن عليهم بها.

ثم نشر قصته «عودة الروح» فدلت على ناحية جديدة من نواحى كفاية هذا الشاب المؤلف، وعلى معين جديد يغرف منه توفيق الحكيم فى حكمة ومهارة. ودقة واستنباط، لست تدرى كيف تصفها ولا كيف تصورها صورتها الحق من الجمال والفن

و «أهل الكهف» و «عودة الروح» كتابان جد مختلفين، فالأول قصة قديمة، او قل اقصوصة دينية صاغها المؤلف فى حذق ومهارة وأتى فيها بكل طريف مبتكر مما قدره النقد وجعله يرفع الكاتب لأول وهلة الى عليين، لانه لم يكن بد مما ليس منه بد. والثانى شد ما يختلف عن الاول كل الاختلاف ويفترق عنه فى جوهره ولبابه، وان شابهه فى تفصيله وحبكه، فعودة الروح قصة مصرية، عريقة فى مصريتها. كتبها توفيق الحكيم عن الأشخاص الذين تراهم كل يوم او تسمع بهم مطلع كل شمس. فقدمهم اليك فى صورتهم الحقة التى تعرفها. أو تحسها ولا تكاد تنكرها. بل ما تراها حتى تتعرف اليها وترى فيها الصورة الصادقة التى تتخيلها. وهى ليست الا اشخاصا من صميم المجتمع المصرى أدار المؤلف قصته حولهم، وقدمهم اليك فى لباقة ومهارة ونفث فيهم من روحه القوى المؤاتى. كما نفث فى أهل الكهف من قبل. واذا بهم أحياء يسعون ويتحركون، يتعاطون من الوان الحياة ويعانون من ضروبها ما يمر بالكائن الحى كل ساعة وكل يوم، فاذا هم ليسوا تصوير المخيلة ولا وهم القريحة بل اناس من لحم ودم. محببين اليك، مقربين منك. لانك لا تجهلهم ولست بالغريب عنهم، بل لطالما رأيتهم وتحدثت اليهم وسمعت من أنبائهم واخبارهم الكثير، وكل ما هناك أن المؤلف انتزعهم من اللحم والدم وضمنهم كتابا من اسطر وكلمات، ولكن ما نزع منهم الروح ولا حرمهم الحياة: فانهم ليحيون حياة موفورة ناضجة، بل كأنهم استمتعوا بدنياهم مرتين، مرة فى الحياة الحقة ومرة بين جلدتى كتاب. وما ندرى أى الحياتين كانت عليهم أجدى ولذكرهم أخلد وأبعد أثرا.

على أن «عودة الروح» أثارت لغطا واثارت نقدا هجاها ونال أو حاول النيل منها. أو قل على الاصح أن لغة «عودة الروح» هى التى أثارت هذا اللغط واثارت هذا النقد، فما قرأنا حتى اليوم كلمة هجاء او قدح فى الرواية ذاتها، ولعلها فوق ان يتناولها الناقد بالذات، أو انها تسمو فى صميمها عن اللغط، فما كان بد لمن أراد ذلك ان يتناول المظهر ويترك الأصل والجوهر، فلا يطرق بابا يعلم انه لا يستطيع ان يلجه فى سهولة ولا فى عسر، مهما جهد أو وسعت له الحيلة

على أن هذا اللغط الذى اثارته القصة كان خليقا أن يثير مناحى من التفكير ليست فى الحق جديدة، وليست مما لم يتناوله الكتاب بأقلامهم قبل اليوم، ولكنها تعاد اليوم فى صورة رحبة فسيحة الجنبات. وتنتهز لها فرصة هى ولا شك أفشل الفرص وأقربها الى خيبة المسعى، وأدناها الى قطع الرجاء. وعندى ان انصار العامية - وما أعرف موقفى منهم على وجه الدقة - ما كانوا يرحبون بفرصة عارضة كهذه الفرصة السعيدة، تثار فيها قضية العامية والعربية من جديد ويكون مثار النزاع ومركز الشجار حول «عودة الروح»

قرأت هذه القصة منذ شهرين فما طلعت شمس يوم الا وفى نيتى ان أكتب عنها ، وما دخل ليل الا وقد هيأت الورق والقلم ، ولكن تمر الايام والليالى وانا متهيب أو كالمتهيب أن آخذ فى حديث عن هذا الكنز فأغفل عن درة من درره ، او تفوتنى جوهرة من جواهره . أو كأنى وقد شغلنى حديث — أبطال القصة — محسن وسنية وسليم وعبده وحنفى وزنوبه ومبروك طوال هذا الزمن . استطبت الحياة مع هؤلاء الأصدقاء الجدد ، واستعذبت حديثهم واسترحت الى مايعرضون على من قصتهم وحوادثهم ، والوان شخصياتهم الطريفة البديعة ، فنسيت معهم كل شىء . او حرصت على هذا النسيان ولم أشأ لنفسى ان أحرمها هذا الحلم الجميل . فطال وطال حتى لم يكن بد من يقظة ولو مؤخرة

وكان لزاما على ان احدث القراء حديث هؤلاء الابطال وما وقع لهم بالتمام والكمال . . . ولكن هذا اللغط الذى ثار حول لغة الرواية لم يكن ليمر دون أن يثير — كما قلنا — كثيرا من التأمل وكثيراً من التفكير . وكان أولى ان يتقدم فيه القول قبل ان ندلى برأى او كلمة فى القصة نفسها ، وانى لأسأل على دهش منى وعجب ليس بالقليل : أيهما احق بالالتفات والنقد . . . ألمظهر أم الجوهر ؟ ألثوب أم لابسه ؟ ألقصة أم لغتها ؟

أفهم ان يتناول كاتب قصة ، ينقدها ما شاء له النقد ، ويمدحها او يهجوها ما شاء له المدح او الهجاء . وما شاء له ذوقه الشخصى وكفاياته واطلاعه ومقاييسه الأدبية ، أفهم هذا وأستسيغه ، واذا ماانتهى الناقد من القصة ذاتها وشاء ان ينقد لغتها واسلوبها من حيث اللغة نفسها فلا جناح عليه . بل لعله المقصر إن لم يفعل إن كان من الخبيرين بهذه الناحية المشهود لهم بالاحسان فيها ، اما ان أدع القصة جانبا فلا أتناولها بخير ولا بشر ، ولا أقول فيها كلمة لينة أو عسيرة ، ثم أقفز قفزة — يالها من قفزة — فآخذ بتلابيب المؤلف لانه كتب بالعامية ولم يكتب بالعربية ، فهذا الذى لا يفهم ولا يستساغ ولا يكاد الانسان يلوكه فى فمه ويجد له طعما أو مذاقا

أيهما الأصل ؟ ألقصة أم لغتها ؟ وأعنى اللغة التى كتبت بها القصة كائن حى خارج عن دائرة اللغة لانها أى — القصة — موجودة لها كيانها وذاتيتها كتبت ام لم تكتب . وهذه الحياة التى احياها انا وأنت وغيرنا من خلق الله لا يستطيع انسان — على ما اظن — أن ينكرها ، وليست هذه الحياة الاقصة من مئات الملايين من القصص ، لاينقص وجودها ولا يقل من ذاتيتها كتابتها باللغة العامية أو العربية أو الفرنسية أو الانجليزية أو اية لغة من لغات العالم ولا استثنى الهيروغليفية ، فقصة « عودة الروح » ليست الا احدى قصص هذه الحياة التى تزخر بالملايين من شبيهاتها فهل نمحوها من الوجود وننكر الاعتراف بوجودها لانها لم تلبس لنا ثوب اللغة الفصيحة

وما قيمة هذه الحياة — هذه الحياة التى تتمثل فى اقصوصة — اذا كنا لا نتعرف اليها ولا نعترف بها الا فى اسموكنج أو الفراك ؟! فاذا طالعتنا فى زيها الحق . فى ذلك الجلباب الفضفاض والسروال العريض انكرناها ومررنا بها سراعا غير آبهين أو ملقين النظر ؟ ان فى حوانيت الخائكين آلافا من هذه البذلات الانيقة الموشاة بالحرير والدمقس ولكن يعيينا أن نلمس فى طياتها حياة أو فى أردانها قصة ؟ ! وما علينا بالله لو عنينا بالقصة فى ذاتها فهى ليست مما يستطيعه كل انسان وتركنا هذه البذلة جانبا وهى مما فى مقدور كل حائك ؟ !

ما الأصل . . . . ألقصة أم لغتها ؟ وندور لنعود الى سؤالنا الأول . القصة هى الموهبة وهى الخلق ، أعنى انها نتاج الموهبة وهى الثمرة أى الخلق الذى ينتهى اليه الفنان الموهوب ، واللغة اكتساب وتحصيل وأنت واصل بالدرس والمران الى هذه اللغة ولو طالت الشقة ، ولكنك لن توجد من العدم موهبة ولن تخلق من العظام الرميم حياة ولن تهشم رأس انسان لترفع عقلا سقيما وتضع مكانه عقلا خالقا ولو جهدت ولو استعديت كل قوى البشر ، انما كان الاجدر بك والامر كما ترى أن تنظر الى الموهبة لتقدرها قدرها أولا ثم تنظر بعد ذلك فى الاكتساب والتحصيل ؟ ! وهل تحرم على هذا العامى الجاهل يأتيك من عرض الطريق بمحض الفطرة والعقل الخالق بما لا يستطيعه العالم الجهبذ بعد الجهد والاعياء ؟ ! نقول هل تحرم على الاول الخلق لمجرد انه جاءك فى ثوبه الطبعى ولم يحاول ان ينمقه بيد الصناعة ؟ ! وهل تأخذ عليه انه ينبيك الخبر كما وقع ويحدثك بالامر على لسان أهله كما تحدثوا به ؟

لست أ[illegible] دث هنا عن مذاهب الفن المتعددة فيما نحن بصدده ، وقد أعلم ان الاستاذ توفيق الحكيم قد يحتج بانه ينقل الحياة كما هى ويرد عليه بان الفن ليس فى نقل الصور نقلا فوتغرافيا وان يكن لهذا جماله ووقعه ، وقد يحتج الاستاذ المؤلف بان أشخاص قصته لم يكن لهم ليتحدثوا غير هذه اللغة التى أدار الحوار عليها لانها لغتهم الطبيعية ، بل ولأن هذه هى اللغة التى تحدثوا بها بالفعل لا أكثر ولا أقل ، ويكون من العسير أن تناقش المؤلف فى هذا القول ، لندع كل هذا الآن ولنحصر الجدل فى قضية واحدة فاننا اذا تفرعنا بالقول هنا وهناك ذهب الاصل واشتبكنا فى فروع وفروع

للفروع لانهاية ولا آخر لها، وضعنا وضاع الحق بيننا . وهذه الدائرة التى نريد ان نحصر فيها القول يجمعها هذا السؤال ولنكرره للمرة الثالثة ولو اعدناه المرة الثالثة بعد المليون ماضجرنا

أيهما الاصل ... القصة ؟ أم لغتها ؟! ان كانت القصة هى الاصل وهى الجوهر وهى مدار الحديث وجب أن تكون عناية النقد موجهة اليها . وان كانت القصة القشور واللغة الجوهر فهذه مسألة أخرى

ولنفرض ياسيدى ان لغة «عودة الروح» كانت هى الانجليزية أو الفرنسية أو الفارسية . فماذا ؟ ماذا بالله ياأبا الاسود الدؤلى ؟ هل أخذت «احتكارا» باللغة العربية فما يكتب انسان الابها ولا يدور حوار مابين القطبين الا على أوزانها وضروبها ونحوها وصرفها ؟ ولنفرض ان العامية من العربية كالفرنسية أو الانجليزية منها أفلو أن توفيق الحكيم كتب «عودة الروح» بأية لغة من لغات العالم كنا نرفضها ونأبى ان نعترف لكاتبها بجهد أو فضل لمجرد انه كتب قصته بهذه اللغة أو بتلك ؟ افلا نقرأ القصص فى لغات العالم فنعجب بها وهى ليست باللغة العربية ؟ لست اسأل هازلا أو متندرا بل انى لجاد كل الجد ، فأذا كنا نفعل ذلك فما بالنا نقف من قصة بالعامية هذا الموقف ؟ ولنفرض ياسيدى ان توفيق الحكيم لايعرف اللغة العربية أفنكسر هذا القلم الذهبى ونخرس هذا اللسان الحكيم ونقبر هذا العقل الخلاق لمثل هذا السبب ؟ بل ولألف سبب مثل هذا السبب ؟! واى أديب سلمت لغته من الشوائب، وهاهو أحد أئمة النقد يصم اسلوب احد أئمة الكتاب بانه لايسلم من الابتذال وكاتب آخر ينال من كاتب معروف ويقول فيه مالم يقل عشر معشاره فى توفيق الحكيم ؟!

وأيهما اجدى على الدنيا وأجدى على الادب ، كاتب ذخيرته الفاظ وكلمات ام كاتب ملء اهابه الحياة وملء جعبته الدنيا تخرج لنا منها عقله الموهوب زادا دسما وطعاما لنا فيه شبع ورى ؟ لو اجتمع الكاتبان لكانا أمل الدنيا وأنشودة العالم فاذا لم تشأ حكمة ازليه الا أن تفرق بينهما فأيهما نأخذ وأيهما ندع ؟

ان الادب غاية ، واللغة وسيلة ، وحرام ان نهدم الغاية من أجل الوسيلة ، ونغالى من قدر هذه الوسيلة حتى ليتعذر علينا بلوغ هذه الغاية

محمد على حماد

« الرسالة » :– كلام الاستاذ أشبه شىء بالدعابة ، فان أكثره لا يجرى على قواعد الادب ولا أصول الفن، ولعمرى كيف نستطيع أن نفصل المعنى عن اللفظ أو القصة عن اللغة أو الموضوع عن الشكل وليس لأحد منهما وجود فنى فى ذاته ؟ فالقصة قبل أن تلبس اللغة لا تسمى قصة ، والألفاظ قبل أن تؤدى المعانى لاتسمى لغة ؟